ساعة
فى رحاب
الرسول

المهندس

زين السماك

مؤسس ورئيس المركز الاسلامى لسيدى على السماك

بالأسكندرية



إلى الروح الهائمة التى خرجت من عقالها باحثة عن المعانى الراقية فرأت الدنيا على حقيقتها فلم تنشغل بأهوائها وشهواتها، فعاشت فى جسد طاهر يمتلئ بكل عناصر الطهارة والحب والود. انه الدكتور مصطفى كمال عبد المجيد، ذلك الطبيب الذى عرف الحقيقة فألزم حياته بها، وعاش فى ساحة الاسلام عاشقا ومحبا لنبى الاسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، حيث اعتادت روحه أن تفكر، واعتكف قلبه ليبقى فى حبه، وألزم نفسه لتتخلق بأخلاق نبيها وتتأسى بشمائله ورسالته.

وفى الشهور القليلة من نهاية حياته الطيبة، ومع بداية شهر رمضان لسنة ١٤١٥ هجرية، الموافق لشهر فبراير ١٩٩٥ ميلادية، وفى أثناء ما انتابه من مرض قلبه الضعيف، فقد دعاه قلبه القوى بالايمان والعامر بحب الرسول ليحثنى أن أكتب عن الرسول ﴿ﷺ﴾، واندهشت

فى بادئ الأمر لطلبه هذا، خاصة وقد كتب من هم أكثر منى علما وبلاغة، فقال بحسم : أنا أريد أن تكتب أنت عنه.

وحيث أننى لم أعتد أن أرفض عملا صالحا أو أقول لا متسرعا، فسلمت أمرى لله، كما نصحنى صديقى الدكتور مصطفى رحمه الله بأن أتحدث فى شهر رمضان ومن خلال لياليه المباركة عن الرسول الكريم. فكان ذلك الكتاب الذى دفعنى اليه ودلنى على ذلك الخير هو أخى المرحوم الدكتور مصطفى، والدال على الخير كفاعله.

وأنا أسأل القارئ الكريم أن يترحم على هذا الصديق ويقرأ الفاتحة على روحه حتى يتغمده الله برحمته ورضاه وقد أسكنه فسيح جناته وطيب ثراه.

فوداعا لتلك الروح الهائمة وحتى نلتقى وقد تشفع لنا الرسول الكريم فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم.

زين السماك



لقد سعدت أيما سعادة وأنا أقرأ ماكتبه الأخ الفاضل الأستاذ أحمد زين العابدين على السماك عن سيد المرسلين محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، الذى مزج فيه الرسالة بالرسول، فلا تجد إلا المثل والقدوة لأعظم رسول، أبرزها ووضحها وجعلك تسبح فى عالم من الشفافية، جسدها أسلوبه الرائع، فما تملك إلا أن تعلو إلى عالم مثالى ليس فى خيال الشعراء والأدباء، وانما على أرض الواقع حيث أسس الرسول العظيم أعظم دولة بأعظم منهاج، وأقام أعظم عدل بأيسر وسيلة.

وبَيّنَ الكاتب كيف أن الأنبياء كلهم على عقيدة واحدة وشريعة امتدت ليكملها صاحب الرسالة الخاتمة التى ازدهرت وأينعت بكل واحد من اخوانه السابقين، ثم زاد ايناعها فأصبحت ثمراً جنيا بفضل ما أوحى اليه من ربه، فاكتملت الرسالات السابقة. ولم يكن هو متلقيا

فحسب وانما كان مطبقا فى نفسه وعلى نفسه، فلم يكن محتاجاً لأن يقول لأنه كان المجسد لكل ما أنزل عليه ومأألهم به، ولذلك قال "**لقد أوتيت القرآن و مثله معه**".

وحينما تقرأ كلام الكاتب لايسعك الا أن تكمله، فلن تستطيع أن تنصرف عنه الا أن تفرغ منه، فهو يجذبك بشدة ويأخذك الى عالم الرسل والرسالات ما تنفصل فيه الرسالة عن الرسول، وانما تجدهما متشابكين متلازمين، وهذا هو الصدق المطلق، فلا تتناقض الأقوال مع الأفعال. ومن هنا كان انطلاق دعوته الى كل أرض وفوق كل سماء احساس بالتواصل بين كل الأنبياء والمرسلين وبين صاحب الرسالة الخاتمة محمد ﴿ﷺ﴾ وسائر اخوانه.

لقد عرض مبادئ الاسلام وصفات الرسول عرضا شيقا يستهوى كل من يقرأ، وبين كيف أن عبادا من عباد الله اغترفوا من فضل الرسول الكريم فضلا وازدادوا نورا وهداية فهدوا الناس وأحبهم الناس، وأصبحوا نماذج من قدوتهم

الكبرى سيد الأنبياء والمرسلين متأسين به سائرين على نهجه، محققين فى أنفسهم ماكتسبوه من هذا المثل الراقى للانسان الكامل.

لقد حبب المؤلف بأسلوبه عن القدوة الناس بعرضه الجميل بأن يكونوا أتباعا مهذبين، وأنا على يقين من أن كل من يقرأ هذا الكتاب سيؤثر فيه ليتأسى بمن أقام على الأرض العدل والرحمة وبمن وصل الأرض بالسماء، ومن جعل كل آية وكل حديث قرآنا وحديثا يتحرك فى سلوك البشر الذين اتبعوه وآمنوا بنبوته.

ان امتزاج الرسالة بالرسول فى هذا الكتاب ميز كاتبه وأعلى قدره، وجعله منهاجا جديدا فى التأليف والعرض فجزاه الله عن قرائه خير الجزاء، وجعله فى ميزانه وميزان كل من يقرأه، و﴿ﷺ﴾ على من هذه سيرته وهذا منهجه ودينه القويم.

٢٤ شوال ١٤١٦ هجرية — عبد الله عبد ربه بكر

١٤ مارس ١٩٩٦ ميلاديه — مدير عام منطقة الأسكندرية الأزهرية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم وتعريف

الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه الذين آزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه وعلى التابعين لهم باحسان الى يوم الدين وعلى جميع من سلك سبيلهم ونهج نهجهم الى يوم يبعثون. وبعد.

فمرة أخرى يعهد الىَّ الأستاذ الفاضل المكرم المهندس أحمد زين العابدين السماك بتقديم وتعريف هذا الكتاب، وذلك بعد أن حظيت بتقديم كتابه السابق (رحلة من أجل العلم). فلم أتردد للحظة فى تلبية طلبه لما عهدته فى كتابته من صدق العبارة وسمو الفكر وصفاء الروح والتجديد فى النهج والحرص على أن تعم الفائدة الجميع.

يبدأ الكتاب بذكر نعمة الله سبحانه وتعالى فى خلق السموات والأرض وتفضله جل وعلا بتزيين السماء بزينة الكواكب وتسخير الأرض بما فيها وماعليها للمخلوق الانسانى الذى فضله وكرمه على سائر مخلوقاته. وكان سيدنا آدم عليه السلام أول خليفة لله على هذه الأرض ومنحه سبحانه من علمه وأسراره "**وعلم ءادم الأسماء كلها**" (البقرة : ٣١).

وتمضى الحياة ويكون الرسول ﴿ﷺ﴾ هو الخليفة الذى تكتمل به الرسالة وتختتم به العقيدة، وتلك منزلة كبرى. وصدق الرسول (ﷺ) اذ يقول: "**مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فجمله وحسنه الا من موضع لبنة فى زاوية من زواياه فكان الناس يطوفون بالبيت ويعجبون ويقولون، ما أجمله، ما أحسنه، هلا لو وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**".

ثم يبين الكتاب ما منّ الله سبحانه وتعالى به على نبيه ومصطفاه محمد (ﷺ) من علوم وأسرار فى الأرض

وفى السماء. الأرض وماعليها والسماء ومافيها. فتعلم الرسول الكريم أسرار العلوم التى احتفظت بها الأرض لنفسها، ففيها علوم وأسرار دقيقة أكثر من كنوزها. وعلم السماء يسمو ويرتقى عن كل علم فى الأرض، لأنه العلم بنور الله سبحانه وتعالى.

وأوضح الكاتب أكرمه الله أن رسالة الرسول ﴿ﷺ﴾ فى الأرض كانت من أجل السلام الحقيقى، وأن أعداء الانسان هم أعداء الأمن والسلام وهم الذين يسعون فى الأرض فسادا، وأنه يجب اجتثاثهم كالحشائش الضارة فى الحقول النضرة، وذلك للمحافظة على النباتات النافعة، ليسلم المجتمع البشرى بأكمله حيث لم يجد فيهم ولا معهم نصح ولا ارشاد.

ويمضى بنا الكتاب ليشرح مشهد النور ومولد الرسول ﴿ﷺ﴾ وما تحدث به المتحدثون بكثرة توجهاتهم وأفكارهم، ويخلص كل ذلك فى أنه ﴿ﷺ﴾ كان أمينا فى الأرض وأمينا فى السماء، وحيث تتلاقى الفضائل والمعانى وتتدافع نحو

موكب النور المعبر عن شخص الرسول (ﷺ) بل وكل الأنبياء والمرسلين، فهو الحياة الروحية المتأصلة.

كما تطرق الكتاب الى العلاقة الوطيدة بين معاش الناس على الأرض وبين عبادتهم لله سبحانه وتعالى، وأن الرسول (ﷺ) كان يدعو الى تحقيق العدالة الاجتماعية والتى كان لها أثر كبير فى تنزل الآيات القرآنية على قلب الرسول الكريم. ولم ينس فى غمرة هذا الفيض موقف الاسلام من المرأة وماحظيت به من اهتمام بالغ فكانت شقيقة الرجل.

واهتم الباحث الكريم بمقامات الرقى الروحى وأوضح اتجاهات الرسول (ﷺ) وتوجهاته فى حياته وفى دعوته وفى رسالته مجمِّع بذلك بين عالم الروح وعالم المادة. فحياة الروح تقوم على طهارة القلب وشفافية الروح ونقاء السريرة وأنوار القرب من الله، حتى يتجه إلى رؤية أخرى تعدل من أخلاقياته ومن أسلوب حياته، تلك الأخلاقيات التى تقوم على الصبر والرحمة واللين والطهر

والمحبة، وكان كل ذلك يملأ كيان الرسول (ﷺ).

وأوضح الكاتب أننا لو تأسينا بما كان عليه الرسول قدر استطاعتنا لوصلنا الى مرتبة رفيعة وانتقلنا من مقام العبودية إلى مقام الاحسان، فنسعد بالرقى والقرب القريب من الله، لأن الأعمال الظاهرة من عبادة ومعاملة لاتؤتى ثمارها كاملة الا اذا اتسقت وراءها هذه المعانى الباطنة. والتربية الاسلامية فى هذا العصر أحوج ماتكون الى هذه الدراسات الروحية.

وطوف بنا الباحث الكريم فى ليلتين كريمتين هما ليلة القدر وليلة الإسراء والمعراج. ففى ليلة القدر تنزلت الملائكة بأنواعها ووظائفها وألوانها وأنوارها فأحدثت ابتهاجا وفرحة بين السماء والأرض، استمر كل ذلك حتى مطلع الفجر. انها الليلة الموعودة التى وهبها الله لرسوله ليمنحه من أنواره ومن بركاته ومن رحماته، كما أنها الحافظة للمؤمنين فى كل مكان.

وإذا كانت ليلة القدر تمثل انعطاف السماء على الأرض ونزول الملائكة من السموات العلا وتنزل أسرار القرآن الكريم على قلب الرسول ﴿ﷺ﴾ ، فإن هذا يدعوه الى زيارة السماء من خلال رحلة الإسراء والمعراج. فهما بحق ليلتان كريمتان فى حياته ﴿ﷺ﴾.

ثم تتهيأ القلوب المؤمنة لاستقبال حبيب الرحمن ومنقذ الانسانية فى المدينة المنورة حيث انتشرت الدعوة ولبست ثوبا جديدا. فجاء نداء الرحمن الندى اللطيف للرسول الكريم "**يأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً**" (الأحزاب : ٤٥ - ٤٨). ليوضح الكاتب أكرمه الله رسالة الرسول ﴿ﷺ﴾ حيث اجتمع رجال حوله يأخذون عنه ويؤمنون بدعوته ورسالته.

ثم يبين الكاتب فى مؤلفه عطاء الله لنبيه ﴿ﷺ﴾ فلقد أعطاه سبحانه وتعالى ما لم يعط أحداً من خلقه. فأشار إلى عظيم عطائه فى هبتين، الأولى فى قوله سبحانه وتعالى "**ولقد ءاتيناك سبعا من المثانى والقرءان العظيم**"، والأخرى فى قوله جل وعلا "**إنا أعطيناك الكوثر**". ففى هاتين الهبتين بيان لما أعطاه الله لنبيه من خير كثير فى الدنيا والآخرة. فقد أوتى القرآن العظيم وأعطى النبوة والدين الحق وأرسل للناس كافة وجعل دينه خاتم الأديان ونهاية الرسالات وجمع فيه بين خيرى الدنياو الآخرة. فهذا شرف كبير وفضل عظيم وجاه عريض.

وبعد كل هذا يختتم الباحث بحثه بتألق الرسالة المحمدية من خلال بشرية الرسول﴿ﷺ﴾. فلم تفارق النبى﴿ﷺ﴾ الطبيعة الانسانية. وتجلى ذلك فى قول الحق تبارك وتعالى "**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ**". فأسلوبه صلوات الله وسلامه عليه فى حياته أسلوب

حضارى يتمشى مع مقتضيات العصر ولم يختلف فى كل مناحى حياته عن طبيعة المجتمع الذى يعايشه ، يشارك فى الأفراح ويواسى فى الأحزان. عاش صلوات الله وسلامه عليه حياته على سجيته وبساطته، وكان دائما ينظر بميزان الحق ويرى رؤية الوضوح ومعه الهامات الله سبحانه وتعالى ووحيه على قلبه فلم يضل ولم يشق.

وبعد بعد.

فهذا الكتاب دراسة يضيفها الأستاذ الفاضل أحمد زين العابدين السماك إلى ما سبق أن وفقه الله سبحانه وتعالى من اشراقات والهامات وخواطر ايمانية أمتع بها مريديه ويأبى كرمه إلا أن يسجلها فى هذا الكتيب ليعم بها النفع.

أدعو الله أن يجعله خالصا له ويكتب له القبول وأن يكون تذكرة وتبصرة. تذكرة بما يجب أن نكون عليه ، وتبصرة بالطريق اليه، وزاداً للشباب فى طريقه الواضح

زوداً عن شريعة الله واقامة لها حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله. والحمد لله أولاً وأخيراً

٢٤ شوال ١٤١٦

١٤ مارس ١٩٩٦

مصطفى عيد

من علماء الأزهر الشريف

مدير عام منطقة الأسكندرية الأزهرية السابق

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد شاءت إرادة الله جلت قدرته أن يشرفنى بكتابة الفيوضات الالهية والالهامات الربانية التى وردت فى هذا الكتاب على لسان شيخى وأستاذى ووالدى الروحى الشيخ زين السماك. كانت هذه الفيوضات وليدة شهر رمضان المبارك لعام ١٤١٥هجرية والتى كان يفيض بها الشيخ زين فى المركز الاسلامى لسيدى على السماك بالأسكندرية أثناء صلاة التراويح أو خلال الجلسات الروحية فى ليالى رمضان المباركة.

وقد نشأت فكرة هذا الكتاب حينما طلب الأخ الفاضل المرحوم الدكتور مصطفى كمال عبد المجيد من الشيخ زين أن يكتب عن الرسول (ﷺ) . فقال له الشيخ : ولماذا اخترتنى أنا. فقال رحمه الله : لأن كتابتك عن الرسول سيكون لها الطعم الروحى الذى تحلى به الرسول (ﷺ) والذى لا يجيده غيرك.

ولم أكن أدرى وأنا أتصدى لكتابة هذه الاشراقات السامية الحديثة العهد بالله على الحاسب الآلى وإعدادها للطباعة بأننى مسير للقيام بهذه المهمة العظيمة. ولقد كنت أحس بتوفيق الله بل أتيقن منه، وكان هذا واضحاً جلياً فى تحمسى الشديد واندفاعى القوى لانجاز مهمتى بأسرع ما يمكن. ولعل ذلك كان من يقينى بأن هذا الكتاب ذو قيمة كبيرة فى رفع شأن الاسلام وتوضيح الصورة الحقيقية لما يجب أن يكون عليه المسلم فى حياته ومع ربه. وكشف أغوار الجانب الروحى للدعوة المحمدية الذى هجره الناس منذ زمن طويل.

لقد أحسست فى هذا العمل بالحكمة القائلة "يثاب المرء رغم أنفه" وأدركت بالتجربة العملية التى عشتها أن الأعمال الطيبة، مهما وان صغرت، فان ثوابها عند الله عظيم مصداقا لقول الله تعالى "**وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم**".

طاف بنا الشيخ زين السماك من خلال الفيض الالهى فى عوالم كانت عنا غيبا بل خيالا، ولكن بعدما عشنا فى الأجواء الروحية والتجليات الالهية، أصبح الغيب ظاهراً والخيال حقيقة ويقينا. عشنا مع حبيب الرحمن ومصطفاه ورسوله الى خلقه ومجتباه سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ فى أكبر جامعة للعلوم الالهية التى أدخله ربه اياها ورباه فيها وعلمه من علومها.

كنا قبل أن نعيش فى معانى الكتاب نظن أن أدب الرسول هو طيب شمائله الانسانية التى نعرفها، ولكن الشيخ زين بين لنا أن أدب الرسول ﴿ﷺ﴾ كان أدباً علمياً يقوم على ما حباه الله من علوم لدنِّية عن عالم الأرض وعالم السماء. عشنا مع قلب الرسول المرهف الحساس الذى لا يشبهه قلب انسانى فى هذا الوجود، القلب الذى امتلأ بالرحمة بل هو الرحمة ذاتها حتى على أدق الكائنات. فهو يمشى على الأرض على استحياء وبكل الحرص حتى لا يؤذى عشباً أو نملة، بل ان عينه تدمع وقد يبكى بكاء حاراً

ويستغفر ربه لأنه آذى دون أن يقصد هذه الكائنات.
سبحان الله، أى قلب هذا، وأى أخلاق هذه، نعم صدق ربنا العظيم حين قال له "**وإنك لعلى خلق عظيم**".

طافت أرواحنا بهيام شديد وبفخر واعتزاز مع رسولها المحبوب وهو يمشى على الرمال وبين الجبال والوديان ومن حوله من المخلوقات وكلها تنظر اليه وتأمل فى نظرة منه لأنها تعرف أن الله سبحانه وتعالى دائم النظر اليه، فهى تريد أن تحظى بنظرة من حبيب الرحمن حتى يرضى عنها الرحمن.

وكانت فرحتنا عظيمة وسرورنا أعظم وهيامنا أشد وتشرفنا ليس له حدود حينما أخبرنا الكاتب أن رسولنا وحبيبنا وسيدنا محمد هو من حقق الحلم القديم لأرضنا الطيبة الحنون فى إعادة لقائها بالسماء بعد غيبة طويلة وتوثيق أواصر المحبة بينهما، حتى وصل الأمر الى أقصى مدى لتوثيق هذا الحب فى ليلة لم تشهد ولن تشهد لها الأرض مثيلا، وهى ليلة القدر حيث نالت الأرض تشريفاً

وتقديراً لم ينله أى من أقرانها الكواكب فى كون الله سبحانه وتعالى، فلقد تنزلت السماء بجندها وروحها على قلب ابن الأرض البار الصادق الأمين محمد ﴿ﷺ﴾ ليستقبل ضيوفه الكرام بكل الترحاب والمودة والمحبة والصفاء، وليبقى فى سلام وطمأنينة طوال ليله وحتى مطلع الفجر، ولتسعد الأرض ومن عليها بهذه الزيارة الكريمة وهذا التشريف والتكريم.

ويزداد شرف الأرض وافتخارها بابنها المصطفى الحبيب حين يتعطف ربها عليها مرة أخرى ويزيد من تكريمها فى شخص حبيبها البار محمد ﴿ﷺ﴾ حينما يدعوه ربه جل وعلا الى زيارته فى حضرته القدسية لينال شرف القرب القريب، وليكون قاب قوسين أو أدنى، ويحظى بسعادة اللقاء مع رب العزة وعظيم الملك والملكوت. ويتلاقى نور الرسول مع النور الأعظم "**نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء**". ويرى من آيات ربه الكبرى، ويبقى

بروحه مع حبيبه وخالقه فى ليلة ليس لها فى العمر مثيل. ليلة لو علمت بحقيقتها الكائنات الجامدة لتحركت ونطقت لتعبِّر عن فرحتها بهذا الانسان الذى حقق لأرضها تلك الأمانى.

لقد عشنا فى هذا الكتاب مع عالم السماء وتنزلات الملائكة وعرفنا ما لم نكن نعرف عن عالم الملائكة وحياتهم ووظائفهم، بل اننى أؤكد يقينا أننا من خلال مصاحبتنا للشيخ زين السماك كنا نحس يقينا بهذه التنزلات الملائكية التى كانت تمسح عن قلوبنا همومها وأحزانها، حتى أننا أحيانا كنا نحس أننا نعيش فى السماء وليس على الأرض.

ولم يكتف الكاتب بأحوال الرسول الروحية بل وضح لنا الطريق الذى نسلكه والمنهاج الذى نسترشد به فى حياتنا من أجل الوصول الى رضا ربنا عز وجل، وأن الانسان اذا ما صدق فى نيته مع الله وأخلص فى عبادته فإن المقامات الروحية المتتابعة فى الرقى تنتظره ليصل فى

النهاية الى مقام القرب القريب من ربه الكريم.

ومع هذا الرقى الروحى والسمو الملائكى لرسولنا الكريم لم ينس الكاتب الفاضل أن يشير إلى بشرية الرسول (ﷺ) وكونه إنسانا يعيش حياته العادية، يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ويتزوج النساء ويهتم بزينته ومظهره ويجسد السلوك الانسانى بكل متطلباته ولكن فى الصورة الطيبة التى يحبها الله سبحانه وتعالى. كما أنه (ﷺ) كان يعيش مع الناس حياتهم يشاركهم أفراحهم وأتراحهم، يهتم بمشاكلهم ويعمل على حلها والتيسير على المسلمين فى أمور دنياهم دون تشدد أو تنطع مع الاستمتاع بالطيب من الرزق وما أحله الله للانسان فى حياته.

نعم لقد عشنا مع الشيخ زين السماك فى كتابه هذا فى عالم السمو الروحى، عالم الصفاء والنقاء، عالم الشفافية والطهارة الروحية، العالم الذى يتخلص الانسان فيه من شهوات الدنيا وأطماعها وأحقادها واغوائها، حتى

تحققنا من قول أحد الصالحين "نحن فى لذة روحية لو علم بها الملوك لقاتلونا عليها" . هذا هو العالم الذى نريده أن يسود بين بنى الانسان لعل السلام والأمن يعودان الى الأرض، وهذه هى الدعوة المحمدية السمحاء بكل أخلاقياتها وروحانياتها.

نسأل الله العلى القدير أن يديم علينا صحبة أوليائه الصالحين حتى ننهل من علومهم الربانية ونحظى بسعادة القرب من الله، مصداقا لقول الله تعالى **"ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين ءامنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم"**.(يونس : ٦٢ - ٦٤) وكما قال الرسول الكريم **"أولياء الله الذين إذا رؤوا ذكر الله"**.

ولا يسعنى بعد هذا التقديم إلا أن أتوجه الى الله العلى القدير بالشكر والعرفان بفضله وعظيم عطائه

"رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين".(النمل : ١٩).

كما أدعو الله مخلصا أن يبارك فى الشيخ زين السماك ويزيده من علمه ويجمعنا معه دائما على طريق محبته ورضوانه.

٢٠ شوال ١٤١٦

١٠ مارس ١٩٩٦

الأستاذ الدكتور

محمد موسى درغام

أستاذ بكلية العلوم - جامعة الاسكندرية

مقــدمــة

لقد أطلت الفتنة برأسها من داخل العالم الاسلامى حينما امتطى الغرور كثرة من الشباب زعمت أنها أكثر تدينا من غيرها، وأصبح الاسلام حكرا على بعض من الناس، وقد دفعهم الاعتقاد الخاطئ الى انهم أكثر اسلاما من غيرهم. وتزاحمت الأحداث فى الآونة الأخيرة لما اعتقده هؤلاء الشباب من ضرورة القتل والتصفية الجسدية لكل من يخالفهم فى فكرهم وعقيدتهم الخاطئة، بينما الاسلام برئ مما يحدث على الساحة من عنف وارهاب.

وقد رأيت أنه من الضرورى تغيير لغة الخطاب الدينى وضرورة العودة الى روحانيات الدين، وقد فقد الكثير من الناس الشفافية وتلاشت البصيرة وغابت الحكمة، لم يعد للرؤية الصادقة وجود امام عالم تسوده المادة وتتطلع فيه النفوس الى المزيد من الأموال والشهوات وحب الجاه والسلطان. وانسلخ الناس من روحانيات الدعوة وفقدوا مكاشفة القلوب والدعوة المستجابة والصلة

الروحية بالله.

جرّاء ذلك تحتم عليَّ أن أقدم أسلوبا روحيا لعله يكون منهجا دينيا يخاطب الناس من أعماق قلوبهم وجواهر عقولهم، من أجل مجتمع تسوده المحبة وينتشر فيه الخير ويعمه السلام.

ولقد حرصت كل الحرص الابتعاد عن تيئيس الناس وعن العويل والصراخ وازعاج القائمين بالدعوة وغيرهم، فانسابت كلماتى تداعب النائم حتى يصحو وتنادى على المبتعد حتى يقترب وتبحث عن الغائب حتى يعود.

فليتنا نعود الى روحانية الدعوة ومحبة الرسول ﴿ﷺ﴾ والتأسى بخلقه الكريم وطيب شمائله، وأن أقرب الطريق الى الله هو الحب. ويكفينا ما قاله اعرابى حينما سأله الرسول ﴿ﷺ﴾ عما أعده ليوم القيامة؟ فقال لا شئ إلا أنى أحب الله ورسوله، فقال الرسول أنت مع من أحببت.

المؤلف

زين السماك



الخلافة

" وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون "

(النور: ٥٥)

خلق الله الأرض ووضع فيها من علمه وسعته ورزقه، فكانت الجبال والبحار والأنهار، وزينت السماء بالكواكب والشموس والنجوم والأقمار، وازدهرت الأرض، وألقى اليها الله سبحانه وتعالى بجمال من جماله، وروعة من روعته. ومضت الأرض مع الأيام والسنين وهى خاشعة وخاضعة، متأملة ومفكرة، ومسبحة بذكر الله، وسابحة فى فضاء رحمة الله عليها وبركاته. كانت الأرض ناظرة إلى جلال نور ربها وفى باطنها دعاء الى الله، فقد اشتاقت الى من يؤنس وحدتها ويملأ فراغها ويمشى فوقها ويداعب أسرارها ويتأمل فى خلقها، فاستجاب الله سبحانه وتعالى من خلال نجواها ودعواها، ويوم أن استجاب الله للأرض أعد آدم ليكون أول من تطؤها قدماه ومعه حواء المباركة.

وعاش آدم عليه السلام شأنه شأن الملائكة الكرام فى سماء اجتمعت فيها الملائكة. لكن الدعاء كتب عليه أن يكون من سكان الأرض. والله سبحانه وتعالى خلق آدم بحب شديد، ومنحه من علمه وأسراره وروعته وجماله، وميزه على سائر خلقه. وحينما حان موعد الاستجابة، بدأت بوادر الاستعداد عند آدم وكذلك السماء والأرض ليتم هذا الحدث الكبير، ليكون

آدم هو أول مخلوق من خلق الله الذين يحملون فى أصل خلقتهم المعانى والأسرار ومحبة الله وتفضله.

وكلما اشتاقت الأرض لآدم كلما أسرع الموعد لينزل آدم تاركا وراءه جنات النعيم والهامات السماء وجمال الجنة وأنوار الملائكة. كان كل هذا حول آدم فى قرية القريب من الله فى جنة الله سبحانه وتعالى. واذ بالله يهيئ لآدم الطريق للهبوط من السموات الى الأرض فيجتمع بالملائكة فى يوم من الأيام ويقول فيهم: "**وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال إنى أعلم مالاتعلمون. وعلم ءادم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم**" (البقرة : ٣٠-٣٢). هذا الحدث السماوى يحدث من خلال قدر الله على آدم بأن ينزل ليكون واجهة الخلافة لله على هذه الأرض، بينما الخليفة الحقيقى هو الرسول (ﷺ) الذى تكتمل به الرسالة وتختتم به العقيدة، وتلك منزلة كبرى.

ولقد تحقق ماقالته الملائكة، فيقع من أبناء آدم جرائم وسفك دماء ومشكلات وكل مايعانيه الناس فى حياتهم. وكل هذا كان واضحا، وقد علمته الملائكة من علم الله، لترى ماذا يحدث من آدم وذريته على الأرض، والأرض شأنها شأن أمرأة صالحة تلبس ثياب الطهر والعفاف تشتاق الى الولد والذرية وتريد أن تحمل وتلد وتأمل أن تتكاثر الذرية عليها وأن تبتلعهم حين يحين موتهم فيعودوا الى ترابها. والأرض المسبحة والعابدة لله سبحانه وتعالى لايغمض لها عين ولاجفن الا اذا رأت وتحققت من جلال الله وعظمته، فهى أرض لاتنام وأنوار الله فى عينيها، وروحانيته تسع كيانها وماتحويه من خلق الله، فهى دائمة النظر الى الله بكل امعان وتقدير.

وتبدأ لغة الحديث والحوار بين الله والمخلوقات، وكل فى ذكر الله وتسبيحه وعبادته، فكل شئ يسبح لله سبحانه وتعالى "**تسبح له السموات السبع والأرض و من فيهن وإن من شيىء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا**" (الاسراء : ٤٤). فكل مافى الأرض تعظيم وتسبيح وتقديس لله سبحانه وتعالى. فالأرض قد دعت الله، وهى فى نفس الوقت داعية أيضا. ان كل من ينظر اليها ويتأمل جمالها

وعظمتها يدرك جمال الله وعظمته، فهى فى دعاء مستمر وفى دعوة مستمرة حتى تبقى الأرض وتحفظ وتقوم بدورها ورسالتها التى خلقها الله سبحانه وتعالى من أجلها.

ونزل آدم الى الأرض ليكون فى مقدمة الخلافة لله سبحانه وتعالى، ولكنه ليس كل الخلافة، فقد تناثر البعض من أبناء آدم على هذه الأرض وفى قلب كل منهم بريق ولمعان وصفاء، فهم صفوة من كثرة من الخلق تتألق فى عالم الانسانية. والله سبحانه وتعالى يصطفى من هؤلاء ويختار من يستحق أن يكون الخليفة الذى يعقب آدم، فخلافة الله فى الأرض ليست اختيارا شعبيا. ومن هذا الجمع القليل كان اختيار الرسل والأنبياء ومن بعدهم أولياء الله الصالحين. فهذا الجمع القليل لم يدخل الى نطاق النبوة والخلافة الا باختيار الله سبحانه وتعالى. فالله وضع فى ارواحهم وقلوبهم طهرا من طهره، ونورا من نوره، ووداعة من وداعته، وسرا من سره. ووضع فيهم مايدعوهم اليه، فدعوا الله مخلصين له الدين. فاستجاب لمافيهم من طيبات وأسرار. فالفضل لله فى الأولى وفى الثانية، والله سبحانه وتعالى يضع فضله حيث يشاء.

واشتاقت الأرض مرة ثانية بعد هذا الحفل الذى حدث على الأرض بنزول آدم، وبعد هذه الكوكبة من مخلوقات الله التى أنارت الأرض بنورها، فارتقت بفضل رقى أبنائها البررة من الرسل والصالحين. فكلما كثر الصلاح فى الأرض كلما تقدمت الأرض وارتقت أكثر وأكثر. فدائما فى الأرض رسالة لكل العقول والقلوب والأفكار تقدمها لمن يريد أن يصلح فيها ويعمل على خيرها ويرزق من رزقها. فكلما كثر الصلاح كلما ارتقت الأرض فدعت الله بقلب سليم، فيستجيب لها الله بالبركات وبالرزق والطيبات من أجل هذه القلوب الطيبة التى أصلحت فى حياتها، فكانت سببا لاستقرار الأمن ونشر السلام ووفرة الرزق **"ولو أن أهل القرى ءامنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون"** (الأعراف:٩٦).

هكذا كانت العلاقة ومازالت مستمرة بين الأرض الأم والأبناء البررة الذين يعملون الصالحات ويدعون الله سبحانه وتعالى. فلم تعد الأرض وحدها بما اجتمع فيها من جبال وأنهار وماحولها من سموات وشموس وأقمار تدعو وتسبح، بل وأصبح فيها هذا الانسان الذى يبتهل ويدعو الله ليحفظها

ويعطيها البقاء والاستمرار فى دعائها وصلواتها. وماحصلت عليه الأرض من بركات وطهر يدعوها دائما أن تكون طاهرة، فمهما سكب على ترابها من أنهار الدماء، ومهما تشعب فيها من وديان الفساد، فستظل الأرض طاهرة ببركة ربها ولايزال أبناؤها يتوضئون بمياهها ويتطهرون بترابها وهذا من فضل رضوان الله عليها ورحمته وبركاته.

العلوم والأسرار
مستودع الأخلاق

نريد أن نتحدث عن الرسول ﴿ﷺ﴾ الحديث الروحى الذى قلّما التفت الناس اليه، بل ذهبوا بعيدا يبحثون عن الفتاوى والأحكام دون الخوض فى المعانى الروحية التى تمثل أصل الدين وطبيعته. فحينما نبدأ فى هذا الحديث عن الرسول الكريم، نتحدث عن أسرار علمه فى الأرض وفى السماء.

علوم الأرض : وعن الأرض تعلم الرسول الكريم أسرار العلوم التى احتفظت بها الأرض لنفسها، فالأرض مدرسة كبيرة فيها من أسرار الله سبحانه وتعالى، وعلى الأرض أبصر الرسول نفسه فرأى علم ربه فيه "**وفى أنفسكم أفلا تبصرون**" (الذاريات:٢١)، فرأى فى قلبه نور الله فعرف ربه وتحقق من علمه ووحدانيته، وهذه واحدة من علوم الرسول من الأرض. وفى الأرض علوم وأسرار دقيقة أكثر من كنوزها وذهبها وفضتها.

ويتأمل الرسول ﴿ﷺ﴾ فى نور الصباح، وينظر الى شمس الله فى الكون، ويرى نور الله هو المضئ، وأن الشمس لاتملك شعاعا من نور، فالنور نور الله فى شروقها، فهى لاتعدو الا أن تكون مخلوقا مسبحا مثلها مثل كل مخلوق خلقه الله سبحانه وتعالى بيد القدرة. فالذين عبدوا الشمس اكتفوا

برؤية الواقع ووقفوا عند حدود الظاهر فضلوا طريقهم عن الحقيقة **"وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون"** (النمل :٢٤). فالشمس آية من آيات الله دعت الرسول ﴿ﷺ﴾ ينظر اليها ويتأملها ويتطلع الى أسرارها بل يستشعر ماتكنه فى داخلها من نبض ودفء وحرارة وحب، فرأى الحب والوضوح والصراحة والصدق والدقة والنظام والعمل **"الرحمن، علم القرءان، خلق الانسان، علمه البيان، الشمس والقمر بحسبان"** (الرحمن : ١-٥). عاينها بقلبه وأقسم عليها بعلمه من خلال ماتجلى الله عليه بعلم الكتاب **"قال الذى عنده علم من الكتاب أنا ءاتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك"** (النمل :٤٠)، وعلم القلم **"ن والقلم و مايسطرون"** (القلم: ١)، وعلم اللوح المحفوظ **"بل هو قرءان مجيد فى لوح محفوظ"** (البروج : ٢١ ، ٢٢)، وعلم الغيب **"عالم الغيب فلا يظهر على غيبة أحدا ، إلا من ارتضى من رسول"** (الجن : ٢٧،٢٦)، وعلم التمكين **"وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون"** (يوسف :٢١) ، وعلم التأويل

"وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى ءال يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم" (يوسف :٦)، وعلم الكينونة النافذة، وعلم مالا يعلمه أحد غيره **"وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما"** (النساء : ١١٣).

وعند ذلك كشفت الشمس عن أسرارها وقد كتبت بحروف من نور حول قرصها المضئ. وان كشفت الشمس والأرض والكون عن الأسرار بقوة علم الكتاب، فإن بلقيس أيضا كشفت عن ساقيها فى قصر سليمان عليه السلام متأثرة بقوة علم الكتاب **"قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين"** (النمل : ٤٤).

وفى السماء رأى رسول الله ﴿ﷺ﴾ كواكب الفضاء ونجومها ومن حولها أسرار ومعارف وتسابيح. هكذا كان الرسول يذهب الى غار حراء، يختلى بنفسه ويتحنث فى عبادته ويرى أسرار ربه فى فضاء كونه، بل وكل مخلوق يلتقى به الرسول ﴿ﷺ﴾ يرى فيه حكمة الله وأسراره، حتى ولو

تضاءل هذا المخلوق. فللرسول تكوين روحى ربانى. ولقد اصطفاه الله واختاره وخلقه على أرفع ماتكون عليه الدرجات الروحية "**رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده**" (غافر : ١٥).

فتكوين الرسول الرحى أخذ كل ماجاء مع الرسل من أسرار ومعجزات وكرامات وبينات. فيسمع الكائنات كما كان يسمعها سيدنا سليمان عليه السلام. فحينما ينظر الى مخلوق دقيق أقل من النملة أو أكبر منها كعشب أو غيره. يستطيع أن يستقرئ ما تحويه هذه المخلوقات فى داخلها وماتتحدث به وماتخاف منه وتخشاه. وقد جاء ذكر ذلك العلم الروحانى فى القرآن الكريم "**حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون، فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين**" (النمل: ١٨، ١٩).

وكلما اكتشف الرسول الكريم أسرار ربه ازداد تحققا وعبودية لخالقه. فعرف الرسول (ﷺ) ربه من اكتشافات

الأسرار الأرضية التى كانت حوله، سواء كانت هذه الأسرار فى مخلوقات حية أو جماد لاتدرك العين حركته ولايفقه الانسان تسبيحه مثل الجبال " **وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين**" (الأنبياء:٧٩)، والرمال "**ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات و من فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس**" (الحج: ١٨)، والرياح والسحاب "**ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التى باركنا فيها وكنا بكل شئ عالمين**" (الأنبياء : ٨١). فهو لايسمع أصوات المخلوقات وكلمات أدق الكائنات بأذنه ولكن قلبه الرقيق يستطيع أن يسمع كل الهمسات وخفقات القلوب وأحاسيس النباتات والحيوانات، فيعرف الله سبحانه وتعالى مرة أخرى. فمرة مع هذه المخلوقات الدقيقة، ومرة أخرى يسبح لله تعالى مع النباتات الصغيرة التى تخرج من الأرض وتحبو عليها لتذكر الله وتسبحه "**يسبح لله ما فى السموات و مافى الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير**" (التغابن :١).

الرسول ﴿ﷺ﴾ تناديه الجبال وتناجيه الرمال وتستعطفه الصخور، فيبادل الكائنات بكل الكلمات والمعانى والاشراقات

والبركات فأحبته وآمنت به. انها مدرسة النبوة التى استقبلت الرسول الكريم بكل مافيها من علوم وأسرار دفينة لايعلمها الا الله سبحانه وتعالى ومن شاء الله من أهل العلم. فعلم الرسول كالماء الذى نزل من السماء ونبع من الأرض

وعلم السماء **يسمو ويرتقى عن كل علم فى الأرض. فهو العلم بنور الله سبحانه وتعالى وطبقات السموات النورانية وملائكة السموات وجنات النعيم ومقامات الرقى الروحى حتى سدرة المنتهى، ومقام القرب القريب من الله سبحانه تعالى "قاب قوسين أو أدنى". فكان للرسول ﴿ﷺ﴾ جولات ورحلات مسائية عبر سماء الروح. فإذا مانام جسده الشريف فإن روحه الهائمة لاتنام ولاتغيب عن الله المجيد. فهى كالأرض المسبحة التى لا تغمض لها عين أو يسدل لها جفن. فقد اعتادت الروح أن تذهب الى الله سبحانه وتعالى. وكما جاء فى قوله تعالى " قال إنى ذاهب الى ربى سيهدين " (الصافات : ٩٩). فإن أقامت فى السماء فانها تبيت عند ربها يطعمها ويسقيها "لست كهيئتكم فانى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقين" (حديث شريف). فتؤمن بملكوت السموات وطبقاتها وملائكتها. وتستمع الى حديث السماء**

وتعاين الملائكة وتؤمن بها "**ءامن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله**" (البقرة:٢٨٥). فرأى الرسول ﴿ﷺ﴾ أن السماء أشد خلقاً وأكثر حشدا من الأرض، فعرف طرق السماء أكثر من معرفته بطرق الأرض، فكانت له الفطنة الروحية، فلاينخدع بمعسول الكلام ولابمظاهر الخداع والنفاق، فهو يرى الحقائق عارية أمامه ليس عليها غطاء يحجب بينه وبين الحقيقة والرؤية الصادقة. فيتعلم الرسول ﴿ﷺ﴾ أدب التعامل لأن الله سبحانه وتعالى أدبه، فلا يكشف غطاء أراد انسان أن يكون ذلك هو غطاءه، فلايميل الى فضح عورات الناس بالرغم من رؤيته لقلوب المنافقين والكاذبين والكافرين وغيرهم وبالرغم ما يتجملون به من مظهر خادع كاذب.

كان الرسول ﴿ﷺ﴾ يدعو دائما الى الستر وأنَّ الانسان كما يريد أن يكون مستورا من الله سبحانه تعالى عليه أن يهب الستر لغيره "**ومن ستر مؤمنا فى الدنيا ستره الله فى الدنيا وفى الآخرة**". تعلم الرسول من الله سبحانه وتعالى الخلق العظيم، أعطاه الله الأنوار التى تكشف الظلمات، والعيون التى ترى القلوب، والآذان التى تسمع مايجيش فى

النفوس، والأدب الذى يمنع افتضاح خائنة الأعين وماتخفى الصدور، والقلب المرهف الحساس الذى تتجسد فيه الرؤية والسمع والاحساس فى آن واحد. وقد جاء فى الحديث القدسى : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ أن الله تعالى قال : **"من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وماتقرب الى عبدى بشيئ أحب الى مما افترضته عليه ولايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه"** (رواه البخارى).

لقد أراده الله سبحانه وتعالى أن يكون نبيا متحدثا عن الله وعن وحدانيته وعظمته وجاهه وسلطانه. فكان الاختيار الذى أدى به الى تعلم الأسرار وكنوز المعارف. فتعلم الحلم والتواضع والصدق وكل المعانى الأخلاقية الرائعة.

لم يعد فى نظر الرسول ﴿ﷺ﴾ مايخفى عليه من صديق أو عدو، ومن ناحية أخرى فليس بمقدور الانسان أو بارادته أن يخفى مافى قلبه عند أصحاب القلوب النورانية ذات الحساسية الشفافية ومواهب علوم البصيرة والمكاشفة. فكل القلوب

عرايا أمام عيون العارفين، فلا يسترها خداع أو كذب أو تزيين وتجميل، ولن تفلح الوجوه بتزيين غطائها فى طمس المعالم والحقائق. ان الله لاينظر الى وجوه الناس ولكنه ينظر الى قلوبهم، وكذا النظرة دائما من القلب والى القلب. فآمن الرسول بما وهبه الله فى قلبه وتأثر به المؤمنون فعرفوا الاسلام وعاينوه عن قرب وأداروا الحياة بايمان واقتدار وتلك أخلاق وبركات نبى الله المختار.

من أجل دعوة روحية لحياة أفضل

لقد كانت رسالة الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ تقوم على علم من الله سبحانه وتعالى. وببركات من الله كانت الدعوة المحمدية، والتى حظيت بعين الله وسمعه وحبه وتوفيقه ونصره. واذا كان الرسول الكريم قد تأدب بأدب النبوة حينما كشف الله سبحانه وتعالى له علوم الأرض وأسرارها، ورأى المخلوقات التى تسبح بحمد الله، فرأى الشمس والقمر والجبال والأشجار والنباتات وكل الموجودات تسبح بحمد الله، وكل منها له حديث خاص ولغة تفاهم.

فبعلم من الله أدرك الرسول الكريم أبعاد الحقيقة ، فنظر الى الحياة فتأثر بما يراه ويعلمه ، وتأدب بالأدب الالهى ، فكان اذا وضع قدمه على حصى فى الأرض أو على عشب أو زرع أو نجيل سمع الكل يسبح لله سبحانه وتعالى، فكيف يمشى على رقاب المسبحين ؟! . كيف يضع قدمه على القمة النامية لنبات ضئيل وضعيف ؟!. وقد يسمع أنين النبات فتدمع عيناه . ومن الدموع قطرات تتساقط فتسقى النبات وتشفى آلامه وتهدئ من روعه . ويستغفر الرسول ربه ، وكان الرسول ﴿ﷺ﴾ يستغفر ربه فى اليوم أكثر من سبعين مرة ولا ذنب . وتلك هى الأحوال الروحية التى تتفق مع مقام النبوة أو الخلافة .

ولقد ضرب القرآن مثلا لذلك فيما كان بين نملة وبين نبى الله سليمان عليه السلام . وما كان عند سليمان ومن قبله داود عليهما السلام ، بل وما كان عند الرسل والأنبياء من علوم وأسرار كلها تجمعت عند الرسول الكريم سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ الذى استمد الأدب من علم الله سبحانه وتعالى . وهذا بخلاف الناس الذين يستمدون الآداب من النصائح والتوجيهات وعقاب الوالدين . ولا يمكن المقارنة بين تربيتين ، احداهما أبوية والأخرى الهية .

بهذه التربية العلمية والروحية ومعها العناية الالهية رأى الرسول الكريم آفاق دعوته القائمة على التسليم الكامل لإرادة الله ومشيئته ، فخضعت حواسه وامكانياته لله وانطبع ذلك على عقله وقلبه ولسانه ويده وماله ودمه . وبذلك أوضحت الدعوة أن العبادة الحقة لا تقتصر على الدعاء والصلاة والصوم والحج فقط ، بل تتأكد بالإيمان القوى الذى يدعو إلى انفاق الأموال فى سبيل الله ، بل يدعو أكثر من ذلك الى التضحية والجهاد ابتغاء مرضاة الله " **وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم ، من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه**

ترجعون " (البقرة : ٢٤٤ - ٢٤٥) ، وأن المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير . والأخلاق الروحية لا تدعو الانسان أن يقدم من ماله أو يكثر من تسبيحه وصلواته فحسب ، بل تدعوه للتضحية فى سبيل الله.

وحينما يقدم الانسان صلواته وصومه ومعاملاته ، فكلها فى نطاق الأمر المستطاع . ولكن حينما يطلب من الانسان أن يقتل فى سبيل الله ، وأن تتبعثر أشلاؤه وتمتص الرمال دماءه فى الصحراء ويستجيب ، فلن يقدم على هذا الا من كان مؤمنا قويا صادقا عرف أن الحياة لله سبحانه وتعالى ، وأن المبادئ والقيم هى الازهار اليانعة للأيمان ، فهان عليه أن يضحى بالمال والولد والنفس لعقيدته الراسخة بأن كل شئ فى الحياة ينسب الى ملكية الله " **قل إن صلاتى ونسكى و محياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** " (الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣) . ولذا كان الرسول الكريم يردد على أسماع أصحابه فى القتال وفى الغزوات قوله " **والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل** " (رواه مسلم) .

فـان كـان الجندى المؤمن يود أن يقـتل فى سـبيل الله مـرة واحـدة فان الرسـول «ﷺ» كـان يود أن يقـتل مـرات ومـرات ولا يكفيه أن يقـتل مرة واحدة ، لأنه «ﷺ» يعلم أن الشهيد الذى شهد الله عليه وشهدت عليـه الملائكة وشاهد الجنة وأنوارها لن يموت، بل يستمر حيا بروحه عند الله سبحانه وتعالى يتبوأ من الجنة حيث يشاء **"ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما ءاتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين "** (آل عمران : ١٦٩ - ١٧١) . هكذا كان ايمان الرسول الكريم «ﷺ» ورؤيته فى ضرورة العمل من أجل مرضاة الله ، حتى ولو كلفه ذلك الجهاد أن يقتل وتسال دماؤه .

كان فى تقدير الرسول «ﷺ» ومن أحلامه وتمنياته أن يقتل فى سبيل الله دفاعا عن الحق وعن الانسان ووقوفا ضد الظلم والقهر والعدوان، فلا شىء أسمى أو أغلى من دين الله سبحانه وتعالى الذى أراده أن يكون فى الأرض، لتصبح الحياة جنة خضراء وارفة الظلال لكل انسان وثمرة طيبة وحياة

انسانية كاملة وأخوة متبادلة وحب بنى الانسان لبعضهم البعض . فاذا كانت الوحوش تطعم صغارها والنباتات تتمايل بالحب على بعضها البعض والمخلوقات تتبادل المنافع، فلماذا لا يكون الحب متبادلا بين بنى البشر جميعا وقد ميزهم الله سبحانه وتعالى بالعقل والقلب .

فالدعوة لله سبحانه وتعالى لا تزيد الى قدر الله قدرا وانما هى دعوة من أجل البشرية جمعاء حتى تنتهى الآلام ويسعد الناس فى حياتهم . فقراء وأغنياء . مرضى وأصحاء، ضعفاء وأقوياء . حكاما ومحكومين . وقد اجتمع الكل فى نطاق دائرة واسعة هى دائرة الدين الذى أراده الله سبحانه وتعالى لكل العالمين دون تخصيص أو أستثناء أو تفرقة . فالدين الواحد لله والأرض للجميع وعلى الناس كلهم أن يعيشوا الحياة الراقية الطيبة السامية التى تضمن العدل والأمن والسلام .

كانت رسالة الرسول ﴿ﷺ﴾ فى الأرض من أجل السلام الحقيقى . ولذا فان أعداء الانسان هم أعداء الأمن والسلام الذين يسعون فى الأرض فسادا وذلك لحرمان الانسان من الاستقرار والأمن والعدل وقتل معانى الانسانية السمحاء ودعاوى الحب والالتقاء . ومن أجل هذا ليس لهؤلاء من علاج سوى ما يتبع فى

التخلص من النباتات والحشائش الضارة فى الحقول للمحافظة على كل النباتات النافعة ، وحتى يسلم المجتمع البشرى بأكمله ، لا بد من التحذير والتنوير لمواجهة القوة الشيطانية الغاشمة بقوة روحية تدعو الى ضرورة الايمان بالدين، ومع أهمية ذلك لا ندعوا الى فرضه بالقوة، اعلاء لانسانية الانسان ، وشخصية الانسان ، واتجاهات الانسان .

فالدين لا يحارب أهل الكفر ولكن يحارب الذين يعتدون على حرمات الله ومقدساته على هذه الأرض ، اذ يقول الله تعالى " **إنما جزاؤا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الأخرة عذاب عظيم** " (المائدة : ٣٣) . فالله سبحانه وتعالى أمر باحترام مشيئة الانسان فى تصرفاته وفى اتجاهاته " **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر** " (الكهف : ٢٩) . ودعوة الاسلام خالية من أى عنف أو قتل أو سيطرة على الناس ، والله سبحانه وتعالى يقول لنبيه الكريم " **لست عليهم بمصيطر** " (الغاشية : ٢٢) . ومع ذلك يضطر الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ الى

حياة الجهاد لمواجهة القوة المعادية التى تريد الفتك بالانسان مثلا فى بنى الاسلام . وهنا لابد من المقاومة . ولا بد من الدفاع عن الشرف وعن الدين وعن الأمانة وعن مستقبل الانسان حتى ولو كلف ذلك تضحية الانسان بحياته فى سبيل الله .

لم يكن القتال مرضا نفسيا فى حياة المسلمين ولا تعطشا للدماء ولكنه فرض عليهم لمواجهة هؤلاء الذين يريدون اجهاض الدعوة والاجهاز عليها وتمكين أصحاب الأصنام من قيادة الأرض ووقوع الانسان فريسة للظلم والعدوان والاستغلال .

روحانيات الدعوة

وتترقب الأرض لحظة بلحظة مشهد النور ومولد الرسول ﴿ﷺ﴾ لتسعد بنور من الله سبحانه وتعالى تسكن هذا الوليد الجديد على أرض الله الجيد . وتشهد الأرض هذا النور الجديد ، وترى فيه الاعداد الالهى لهذا الوليد الذى أرسله ربه رحمة للعالمين .

وحينما يولد الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ يتحدث عنه المتحدثون بكثرة توجهاتهم وآرائهم وأفكارهم . فمن يرى أن نيران كسرى قد أنطفأت، ومن يرى أن الرسول ﴿ﷺ﴾ فى موكبه على الأرض تظله الغمامة ، فقد تحدثت القلوب والنفوس كما تحدثت الأرض الى نفسها بأنه ولد فيها رسول مقرب من الله سبحانه وتعالى .

وتأدب الرسول ﴿ﷺ﴾ منذ مولده بآداب من الله سبحانه وتعالى ترعاه وتحفظه . فرأى بنور ربه أن الأرض ساجدة لله سبحانه وتعالى ، وأن حبات الرمال تسبح بين يديه، وأن هذه الخلائق كلها تعبد الله سبحانه وتعالى وأن الكون كله فى انتظام لعبادة الله سبحانه وتعالى . فهذا هو الرسول ﴿ﷺ﴾ فى طفولته يرتشف ويتلقى من علوم الله المنعكسة من تراب هذه الأرض . فعلم ما لم يعلمه أحد من الأرض . رأى وشاهد

وسمع . فارتبط كيانه بكل شبر بأرض وكون المحبة وسماء الرحمة ودنيا الانسانية . فدقات قلبه تسبيح وتهليل وتكبير لله سبحانه وتعالى .

هذه هى الطفولة التى رأت وتعلمت وسبحت مع الكون فى سموه وصفائه . رآه الناس ﴿ﷺ﴾ عجبا فى هذه الأرض ، فهو الذى لا يخالط أمثاله فى صحبتهم وفى احتفالهم . هو الذى عرف عنه الأمانة المتأصلة منذ طفولته . حتى بعدما تحقق الناس بالاسلام قالوا عنه أنه ﴿ﷺ﴾كان أمينا فى الأرض وأمينا فى السماء . لو خرجت الأمانة تطل برأسها على هذه الأرض لكانت محمدا ﴿ﷺ﴾ يمشى على وجه الأرض ، ولو جاءت الرحمة لتعلن عن نفسها لأختارت أن تتجسد فى خطى الرسول ﴿ﷺ﴾ .

وهكذا تلاقت الفضائل والمعانى الطيبة وتدافعت نحو موكب النور المعبر عن شخص الرسول سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ ، ولو تباهت الأخلاق وأحتشدت بجموعها لأكتشفت أن مكانها هو قلب وحياة رسول الله على هذه الأرض . فلم يكن الرسول ﴿ﷺ﴾ يمشى فى دنياه ليتعلم أخلاقا جديدة ، ولكن الأخلاق هى التى كانت تسعى اليه وتتفاخر بأنها خرجت من مرقدها

لتصطحب الرسول ﴿ﷺ﴾ فوق رمال هذه الأرض من أجل المعاملة الطيبةوالدين السمح ، ويتحقق اللقاء المنتظر مع بنى جنسه من البشر وقد حمل كل أخلاق الصدق والأمانة والطيبة والحلم والرحمة والعدل والانسانية .

وهكذا أتى الرسول ﴿ﷺ﴾ مختارا من الله سبحانه وتعالى . وكما تدافعت اليه الأخلاق لتسكن اليه وترتضى لنفسها منزلا قائما فى قلبه ﴿ﷺ﴾ ، فلقد تدافعت أيضا ملائكة السماء ليكون لها بيت فى قلب الرسول ﴿ﷺ﴾ تنزل اليه . كان قلب الرسول منزلا للوحى ومهبطا للأنوار القدسية ، وكيف لا والله أعده ليكون خير خليفة له على هذه الأرض ، وقد هيأ الله الخلافة منذ آدم عليه السلام لتبلغ تمامها وكمالها بالرسالة الخاتمة ، ولتتألق كلمات الله المعبرة عن هذا السمو بقوله تعالى " **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** " (المائدة : ٣) . فهو الخليفة المعد من الله سبحانه وتعالى .

ومن بحر علمه ﴿ﷺ﴾ وسعة أفقه وطيب شمائله وجمال طلعته المشرقة تألقت الخلافة دوما ليرثها من آمنوا بالله وعملوا صالحا كما جاء فى قول الله تعالى " **وعد الله الذين**

ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون" (النور : ٥٥) . فما من وارث للرسول فى علمه وأخلاقه وشمائله إلا وقد التزم بالخلافة الروحية السامية، ولتظل الخلافة شمسا تضئ الكون وتبدد ظلمات الجهل والظلم والكفر .

ويطمئن الرسول ﴿ﷺ﴾ فى خلافته ويتطلع بأحواله وتوجهاته ومخاوفه وعواطفه ورغبته وحبه نحو المزيد من شكر الله بقلبه الساجد ولسانه الذاكر . وليرى الله فى جمال خلقه وجلال علمه وانتظام كونه . فكل شئ فى الحياة يدعوه الى الله سبحانه وتعالى . وبالتالى لن يشقى الرسول ﴿ﷺ﴾ مادام الله معه والقرآن ربيع قلبه " **طه، ما أنزلنا عليك القرءان لتشقى، إلا تذكرة لمن يخشى** " (طه : ١-٣) .

فلم يكن ﴿ﷺ﴾ شقيا بعناد عشيرته وظلم أبناء قريته ، بل كان سعيدا ومطمئنا بارتباطه المستمر بالله سبحانه وتعالى . ولم يجد الشيطان فى قلب الرسول ﴿ﷺ﴾ منفذا

ينفذ اليه . فقد عصمه الله سبحانه وتعالى وكفاه وآثره بالمحبة المستمرة التى خرجت من قلبه ومن حياته. لتكون نسيجا على هذه الأرض يرتديه كل المتجهين الى الاستقامة وحب الأخلاق والمثل والقيم . فارتدوا ملابس التقوى وأخذوا من بركات الرسول ﴿ﷺ﴾ حياة لهم تدعوهم الى استمرارية العمل من خلال ما نالوه من قرب من الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ . وبذا انتشرت كلمات الله ودعوته بعد غيبة طويلة . فكان العناق وكان الحب وكان اللقاء بين الأرض والسماء من خلال رسالة المصطفى سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ .

فليس بكثير أن تظله السماء وأن تحمله الأرض وأن يمشى على وجهها. وقد شعرت الأرض بعاطفة البنوة والأمومة والحب واللقاء . وتدافعت العواطف كلها لتلتقى مع الرسول ﴿ﷺ﴾ والأرض السماء والشمس والقمر والنجوم والبحار. حتى الأعشاب أطلت بأوراقها لعلها تحظى بنظرة من الرسول الكريم وتدعوه لرعى أغنامه عليها.

فالأرض التى قدمت لغنمه أطيب العشب هى الأرض التى استوقفت سراقة ليغوص فى رمالها يوم أراد أن يقتفى أثر محمد عليه السلام وصاحبه أبى بكر الصديق ويتتبع

خطواتهما وهما فى طريقهما الى المدينة فى رحلة الهجرة، ليقتل الرسول أو يسلمه إلى أعدائه. وتعلم هذا الفارس درسا أنه أمام رسول كريم، ورجع من حيث أتى بعد أن وعده الرسول ﴿ﷺ﴾ بسوارى كسرى، وتلك حادثة تمثل استجابة الأرض للرسول وانقيادها للاسلام.

إن الرسول ﴿ﷺ﴾ له الجولات الروحية فى كل مكان، فى عمله، فى تجارته، فى تعبده، فى لقائه المستمر بالله سبحانه وتعالى. حينما كان يتسلق جبال مكة ليختلى بنفسه بين يدى الله سبحانه وتعالى، كان يعلم دائما أنه فى الصحبة الالهية والرعاية الربانية، فى مكان موحش تكثر فيه الثعابين والعقارب، ويعلم أن السم لن يميته لأن رسالته قائمة.

وبهذا الايمان لم يفزع الرسول ﴿ﷺ﴾ لأمر من الأمور، فايمانه بالله كان مصدر شجاعته وهدوئه وطمأنينة نفسه. وكل ذلك يدعوه لثباته على مبدئه ودعوته وعقيدته. وكانت رؤيته فى الحياة من خلال علمه بالله. ففى وحدته لا يؤنسه إلا علمه بالله سبحانه وتعالى، وقد أحاطه الله بعلمه فى خطواته وانتقالاته ونومه ويقظته. فان نام بجسده فان روحه الهائمة تسبح فى ملكوت الله لتعود اليه وقد حملت أرق المعانى

وأجمل المشاهد لرحلة عروجها فى كل مساء، وبذلك لا يبتعد لا فى نومه ولا فى يقظته عن علم الله ورحمته وحفظه وتوفيقه.

وكان الرسول ﴿ﷺ﴾ فى تحنثه وعبادته يلتقى بكل أرواح الأنبياء ويتذوق من أسرارهم ويعيش مع عواطفهم، فان جاءه من خلال مشاهداته الروحية آدم عليه السلام فهو آدم على الأرض بحاله وعلمه. وكذلك ان جاءه سيدنا ابراهيم عليه السلام فانه هو سيدنا ابراهيم على الأرض ، وان جاءه المسيح فهو المسيح. وهكذا أصبح الرسول ﴿ﷺ﴾ الكلمة التامة المعبرة عن كل الرسل والأنبياء، وكلمة الأرض، وكلمة السماء ، وكلمة الرحمة، وكلمة الحب، وكلمة النور. فهو الحياة الروحية المتأصلة التى أرادها لله أن تكون بحراً متسعاً لكل كلماته سبحانه وتعالى "**قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا** " (الكهف : ١٠٩).

ويمضى الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ فى خطواته نحو مكانه المفضل فى الغار بين أحضان الجبال للتقرب الى الله سبحانه وتعالى. وبالرغم من أن المكان كان موحشا إلا أنه كان مؤانسا

للرسـول الكريم ﴿ﷺ﴾. فالمكان بعيد عن الدنيا بمشاكلها ومشاغلها وقريب من الجبال الساجدة والرمال المسبحة من خلال السكون الهامس بالطمأنينة والسلام الملائكى.

وآنس الرسول ﴿ﷺ﴾ الطبيعة، فصوت الطبيعة تسابيح وترانيم وهيام فى حب الله رب العالمين، واعتاد الرسول ﴿ﷺ﴾ اللقاء بهذه الطبيعة الممتزجة بروحانيات ملائكة السماء، فتراه يصعد الجبل بصعوبة ومشقة، وسرعان ما تتبدد الصعاب عند أجمل لقاء، فعلى المحب أن يشقى وعلى الرسول ﴿ﷺ﴾ أن يتحمل هذا الشقاء. فيجب على الانسان أن يتحمل عناء حبه وروعة اشتياقه بين يدى الله سبحانه وتعالى. فليست كل الأمور الصعبة تشقى المحب الذاكر لله سبحانه وتعالى، وأحاديث الله القدسية تناجى هذا المحب وتقول فى روعة وجمال "**أنا عند ظن عبدى بى إذا ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه، وإذا تقرب إلىّ شبرا تقربت اليه ذراعا، وإذا تقرب إلىّ ذراعا تقربت إليه باعا وإذا أتانى يمشى أتيته هرولة**".

وعند صفاء الروح واشتياق القلب للقاء من خلال الحضور الروحى وتقلب الوجه فى السماء فى تطلع للنور الالهى

والحضرة القدسية، فاذا بالسماء تستجيب وتكاد أن تنخلع من مكانها، ويستشعر الرسول ﴿ﷺ﴾ بأن السماء قد دنت من الأرض، وأن الملائكة قد اقتربوا نحو قلبه، وأن صدره قد انشق ليستقبل أنوار الله وملائكته، فأدرك أن أنوار الله وملائكته قمر يملأ السماء ليضيئ القلوب. فلم يعد فى الحقيقة قمرا واحدا بعد اشراقة قمر الهداية والنور، فقمر يهدى الناس الى طرق الأرض وقمر يهدى القلوب الى الله سبحانه وتعالى. فعلم الرسول ﴿ﷺ﴾ أن ساعة الدعوة قد حانت وأن حديث الروح قد بدأ بينه وبين جبريل عليه السلام ليتلقى خبر السماء ووحى الله وكلامه والهامه، فجبريل فى القرب والله فى القلب.

انه آذان ببدء الرسالة، ليخرج ما فى قلبه من وحى وعلم ومعرفة، وقد حمل جبريل عليه السلام خطاب ربه اليه ﴿ﷺ﴾. ليبدأ ويتحرك ويستقرئ ما فى قلبه ويدعو الى رسالة الاسلام. ومن كلمات جبريل التى تدعوه أن يخرج على الناس باسم ربه بعد صمت طويل وصبر جميل تحملهما الرسول ﴿ﷺ﴾ ليبدأ الدعوة من بعد سن الأربعين. وحين فاجأه جبريل عليه السلام بقول الله تعالى "**اقرأ**" علم الرسول ﴿ﷺ﴾ أن ساعة الدعوة قد اقتربت وأن قلبه قد زلزل وانفطر لتخرج معانى الجمال

العلمى والأدب الربانى.

ويسبح الرسول ﴿ﷺ﴾ بروحه سبحا طويلا وقد خشعت الروح ساجدة فى محراب ربها وتضاءل الجسد، فلم يعد يتحمل التجليات الالهية والتحيات الربانية، وفاض فى صدره نهر العلم اللدنى حينما خاطبه الله بالعلوم والحقائق التى أكدت له التكليف بالدعوة، فتحقق الرسول ﴿ﷺ﴾ من ذلك بقول ربه له "**خلق الانسان من علق**" (العلق :٢)

وتلك اشارة واضحة تؤكد للرسول الكريم بأن الدعوة قد حانت والرسالة قد أعدت، وما عليه الا البلاغ ليقرأ ما فى قلبه "**وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين**" (الشعراء : ١٩٢ – ١٩٥) .وقد أكرمه الله باختياره واصطفائه القديم الأزلى المكتوب بقلم القدرة على كتاب لوح الله المحفوظ "**بل هو قرءان مجيد فى لوح محفوظ**" (البروج :٢١) .

ومن هنا يبدأ الرسول ﴿ﷺ﴾، وقد ملأ القرآن شغاف قلبه وهدأ واطمأن بقول الله تعالى "**اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم**" (العلق : ٣ – ٥). فلم يكن الانسان مهيئا بفكره وعقله ليعلم لغة النمل، ولا حديث

الطير ولا نداءات الرياح، ولا تسبيح الجبال، ولا رؤية ملكوت الله، ولا العروج اليه فى كل صلاة. فالقلب وحده هو مهد العلم الالهى والمكان الروحى الذى يسع لطف الله ورحمته، وهو أيضا مستودع لأسرار من الله من بحر علمه وغيبه. فدعوة الرسول ﴿ﷺ﴾ ربطت بين اسلام العقل واسلام القلب فى طريق واحد وصراط مستقيم.

وكان الرسول ﴿ﷺ﴾ حينما يكاشف أنوار جبريل عليه السلام تحدوه الطمأنينة بكلمات الله التامات المنزلة على قلبه "**وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم**" (الشورى :٥٢). فلا تتلقفها آذان سارقى السمع من الجان فتنتقل آيات القرآن الى مدعى النبوة فى كل مكان، وأن وظيفة جبريل تقوم على حمل رسالة الوحى من الله الى رسوله، وتلك رسالة خاصة لا يعرفها أو يعلمها أو يفضها سوى الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾، وأن ما يقوم به جبريل عليه السلام انما يكون من خلال البريد الالهى، وكذلك له وظيفة أخرى وهى تأمين الأرض من شر سارقى السمع حتى لا ينسب القرآن لمدعى النبوة أو الرسالة.

مقـــامـــات الرقـــى
الـروحـــى

لو تحدثنا عن اتجاهات الرسول (ﷺ) وتوجهاته فى حياته، وفى دعوته،وفى رسالته،لوجدناه قمة فى المقاييس الروحية، وقمة فى المقاييس العقلية. فجمع بين عالم الروح وعالم المادة. ومن خلال العالم الروحى الذى يغمض على كثير من الناس،مع أنه شرط هام من شروط الايمان بالله سبحانه وتعالى،أصبح من واجبنا أن نلقى عليه بعضا من الضوء . فعالم الروح يتخذ من القلب كيانا له. وكما كان الرسول (ﷺ). وتلك الحياة الروحية تقوم على طهارة القلب،وشفافية الروح،ونقاء السريرة،وأنوار القرب من الله،حتى يتجه الانسان من خلال قلبه الى رؤية أخرى تغير من أخلاقياته ومن أسلوب حياته . فهذه الأخلاقيات تقوم على الصبر والرحمة واللين والطهر والمحبة . وخير ما يستعين به القلب النابض بالايمان هو قول الله تعالى "**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**" (آل عمران : ١٥٩) . فهذه السماحة من التربية الروحية التى تجعل الانسان يعفو ويستغفر ويتسامح مع خصومه ومع أعدائه ومع كل من أساء اليه. ولا تستطيع

عقليا أن تلزم انسانا بأن يعفو عمن أصاب عينه بالعمى ولا من كسر له سنا ، فالعين بالعين والسن بالسن والجروح قصاص **"وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون"** (المائدة : ٤٥). ولكن حينما يتخطى الانسان احساسه بالآلام وخسائره التى لا تعوض ويتسامح عن طيب خاطر من خلال اشراقة روحية تكشف له خيرية الانسان المتأصلة فيه رغم شروره الظاهرة، وعليه أن يتغاضى عن الإساءة، بل يقابل الاساءة بالاحسان، وتلك هى النزعة الروحية التى كانت تملأ كيان الرسول ﴿ﷺ﴾ . ولذا من حقنا أن نتأسى بما كان عليه الرسول بقدر استطاعتنا وجهدنا، وتبصرة عيوننا، وتفتح قلوبنا، وتطهر أنفسنا من ماء العلم، والذى توضأ منه الرسول وأفاض على أصحابه ، حتى أنه ﴿ﷺ﴾ كان يرى أصحابه فى طهر دائم لا يتأثر بالأحداث الصغرى ولا الكبرى من تلك التى تؤثر على الطهارة الجسدية. فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لقينى رسول الله ﴿ﷺ﴾ مرة فى طريق من طرق المدينة وأنا جنب فاختنست،

فذهبت فاغتسلت ثم جئت فقال : أين كنت يا أبا هريرة، قلت: انى كنت جنبا فكرهت أن أجالسك على غير طهارة ، قال: **سبحان الله ان المسلم لا ينجس** . فالنجاسة الحقة هى عمى القلب وفقدان البصيرة الروحية وانعدام المروءة.

من أجل ذلك أصبح من الضرورى أن نرحل الى عالم السمو والطهارة الحقيقية التى تحقق للانسان حضوره الدائم ، وعدم تخلفه عن لقاء الله ، كما تحقق له استجابة الله لندائه ورجائه ودعائه. فهيا بنا نرحل عن شهوات أنفسنا ومن آثام أيادينا وتعكير صفونا، الى حياة روحية لا تغفل فيها العيون ولا القلوب والأفئدة عن مراقبة ربها ، ولا تبتعد الروح عن محبة الله واستعطاف نظره، ليفوز الانسان بنظرة روحية مقدسة تسمو به الى مقام الاحسان. وحينما سئل الرسول ﴿ﷺ﴾ عن مقام الاحسان قال : "**أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك**" ، وتلك بعض درجات السمو بمقام الاحسان . فيا أيها الانسان اسجد واقترب وتقلب المقامات الروحية لتتذوق ألطاف الله واحسانه عليك، فأنت فى حماية الله طالما كنت فى مقام العبودية، وقد كتبك الله ضمن عباده المخلصين .

وهكذا ينتقل الانسان من مقام العبودية الى مقام الاحسان ، ليسعد بالرقى الدائم والقرب القريب من الله سبحانه وتعالى . ولا يزال الناس فى حديثهم يتساءلون فيما بينهم وبين أنفسهم عن الله سبحانه وتعالى ، فيمد لهم الله يد الانقاذ، ويلقى فى روعهم عن كيفية البداية وعن طريق الهداية بقوله تعالى "**وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون**" (البقرة : ١٨٦) . فعلى الراغب أو المريد أن يعلن عزمه على الاخلاص واسلام الوجه لله سبحانه وتعالى ، فالله أقرب اليه من حبل الوريد.

وتلك هى المعانى الحاضرة فى قلب الرسول ﴿ﷺ﴾ العامر بالايمان، وتطلعاته الروحية فى مراقبة الله فى كونه وتجلياته على سمائه وأرضه من خلال أسمائه الحسنى ، فان تجلى باسمه اللطيف ، فان ملائكة الكون تتزاحم فى الأرض وفى السماء ، بينما المراصد الروحية فى القلوب الواعية تدرك حقيقة اسم الله اللطيف فى التو وفى اللحظة ، وذلك ما يعبر عن اسم الله الأعظم الذى لو أقسم الانسان فى حضرته القدسية على ميت لقام وسعى ، ولله رجال اذا أرادوا اراد الله

، واذا شاءوا شاء الله سبحانه وتعالى ، وذلك عند مقام التسليم الكامل لله سبحانه وتعالى،وانعدام الارادة الجسدية المتمثلة فى وساوس النفس وفحيح الشيطان من داخل الانسان ، فتعالوا ننظر الى بحر العلم ، والى نور السموات والأرض.

ليلتان فى حياة الرسول

ليلة القدر

بينما كان الرسول ﴿ﷺ﴾ فى مناجاته لله وتودده لمزيد من رحمته وعفوه ورضاه، واذ بالله سبحانه وتعالى يملأ قلبه بالرحمة ، ونفسه بالطمأنينة ، واذا بعطاء الله وعلمه يتنزل على قلبه الطاهر فيتذوق القلب حلاوة القرب من الله ، وكأن أرواح الرسل والأنبياء قد هبطت على قلبه. ويستوعب القلب معجزات الرسل وأسرار الأنبياء ، وكلها من كلمات الله وخزائن كنوزه. وتتهادى الآيات القرآنية مؤكدة على تنزلات السماء بقول الله تعالى "**إنا أنزلناه فى ليلة القدر**" فأصبح القلب مهبطا للتنزلات الالهية ليمتلئ صدر الرسول بعلوم القرآن وحقائقه، وذلك من أقدار الله التى تمثلت فى حقيقة القضاء والقدر. وان كانت العلوم والأسرار فى قلب الرسول قدرا الهيا فهى أيضا بمثابة التقدير الالهى لخاتم الأنبياء والمرسلين . ويتحقق الرسول من قول الله تعالى "**إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر**" . وتتوالى كلمات الله على قلب رسوله حتى أن القرآن الكريم وصف هذه الليلة بقول الله تعالى "**ليلة القدر خير من ألف شهر**" . بينما شهر رمضان

الذى أنزل فيه القرآن هو شهـر من أشهر الله . تلك التى يهتدى فيها المسلم لعبادة الله باقام الصلاة وايتاء الزكاة والصوم الخالص لله. ويتقرب العبد الى ربه ليحظى برضاه وقبول عبادته. فان تأثير ليلة القدر أكبر من ألف شهر من أشهر الله. من أجل ذلك تنزلت الملائكة من السموات العلا. لتكون وراء كل سر من أسرار الله المنزلة على قلب رسوله. فوراء كل سر ملك. وهذا ما يدعو الملائكة للتهافت على قلبه ﴿ﷺ﴾ الممتلئ بأسرار الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم. وأينما كانت الملائكة فى حشدها فى السماء فان هذا الحشد يمثل طبقة نورانية أو سماء من السموات العلا. فاذا ما تنزلت الملائكة فان السموات تتنزل معها. فتنزلت الملائكة بأمر ربها. وتتنزل بسبب ارتباطها بالأسرار والعلوم الالهية. حينما تتنزل الملائكة انما تتنزل بأنواعها ووظائفها وألوانها وأنوارها وقد التفت حول الروح النورانية. وتلك تفوق أنوار الشمس فى سطوعها. وأحدثت التنزلات الملائكية ابتهاجا وفرحة بين السماء والأرض. حتى أنه يصعب التفرقة بين ما هو سماء وما هو أرض. واستمرت الأنوار الملائكية حتى مطلع الفجر ليعيش الرسول ﴿ﷺ﴾ ليلة هانئة وقد أسلم قلبه لله. وانشرح صدره بأنوار

الله، واطمأنت نفسه الزكية بألطافه سبحانه وتعالى وبركاته ورحمته، ولم تعد النفس ينازعها خوف أو حزن أو يأس بعدما لجأت الى السلام الالهى وقد تجلى الله عليها باسمه السلام، فسلام هى حتى مطلع الفجر.

ووضح عنوان كبير فى الاسلام، انه الاسلام الروحى الذى يؤمن بالغيبيات، ومن لا يؤمن بالغيبيات فقد خرج عن الايمان الصحيح بالله وملائكته وكتبه ورسله، فنقاء القلوب وصفاؤها ورضوان الله عليها يزيح الحجب التى تحجب الانسان عن الرؤية الحقيقية، كمن خلق بعيون مبصرة ولكنه لم يعد يرى، ويتعامى عن الرؤية الحقيقية من خلال بصره وعقله، وهكذا أمراض القلوب التى تسيطر على الانسان وتمنعه من رؤية الغيبيات، والتطلع الى الله سبحانه وتعالى، وتحقيق الدعوات، وتبادل الأنوار، ونقاء السريرة، وحياة البركة والأمل والنور والايمان القوى بالله سبحانه وتعالى.

هذا هو السلام الذى يفتقده الانسان، فأضاء الله سبحانه وتعالى قلب الرسول وقلوب المؤمنين من بعده بسلام من مصدر السلام فى ليلة القدر المباركة التى تعود وتتكرر مع قلوب المؤمنين المحبين لله ولقرآنه العظيم، انها الليلة الطيبة

المباركة التى تدرك الانسان فى قلبه، انها سلام حتى مطلع الفجر، السلام الذى فيه الحياة، وفيه الوقاية والأمن حتى بزوغ الفجر، الأمل فى ليلة القدر وحتى ينقشع الظلام ويطلع الفجر، حتى يعظم الاسلام وتنتشر كلمة الله سبحانه وتعالى فى الآفاق . " **سلام هى حتى مطلع الفجر** " بظهور الاسلام وانتشاره دوما. فهى الليلة الحارسة، الليلة الحافظة للمؤمنين والمسلمين فى كل مكان حتى مطلع فجر النور والأمل المرتقب فى كل عصر وفى كل زمان وفى كل مكان. انها الليلة الموعودة التى وهبها الله لرسوله ليمنحه من أنواره ومن بركاته ومن رحماته.

ليلة الاسراء والمعراج

واذا كانت ليلة القدر تمثل انعطاف السماء على الأرض، ونزول الملائكة من السموات العلا، وتنزل أسرار القرآن على قلب الرسول ﴿ﷺ﴾ . فان هذا يدعوه الى زيارة السماء وتمثيل الأرض عند السماء . فلولا زيارة السماء للأرض فى ليلة القدر ، ما كانت زيارة الرسول للسماء من خلال ليلة الاسراء والمعراج . فهما بحق ليلتان فى حياة الرسول ﴿ﷺ﴾ . ولتبدأ الزيارة الروحية فى مسراها على الأرض وسموها الى السماء بقول الله تعالى " **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من ءاياتنا إنه هو السميع البصير** " (الاسراء : ١)

وقد بدأت الآية القرآنية بالتهليل والتكبير والتسبيح لله سبحانه وتعالى . حينما مكن الله نبيه وحبيبه بانطلاقة روحية عبر مسافات الأرض البعيدة ما بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، والانطلاقة الروحية من عالم الأرض الى عالم السماء . وتلك هى لغة الروح التى قد لا تستوعبها العقول . حيث أن المقاييس العقلية يصعب عليها أن تفسر

الروحانيات. ولا يفسر الروحانيات الا المقاييس الروحية التى تسمو فوق كل المقاييس المادية . فان رحلة الاسراء والمعراج تؤكد للرسول ﴿ﷺ﴾ أن دعوته ستنتشر على الأرض وستخرج من حيزها الضيق فى مكة، وأن حلقة الايمان ستتسع لتضم كل القلوب التى أسلمت للرسل والأنبياء من قبل، وتلك هى بصيرة الرسول المطلة على عالم الغيب والمستقبل القريب والبعيد ، ولربط رسالة المسجدين فى رسالة واحدة شاملة . فان كانت رسالة المسجد الأقصى تتجه نحو بحر الروحانيات المتعانقة بالسلام والمحبة من خلال آيات ومعجزات المسيح عليه السلام ، وأيضا رسالة الهداية بعد الضلال والانشقاق والفساد المتمثلة فى رسالة سيدنا موسى عليه السلام ، والتى أشارت بوضوح الى قومه اليهود الذين اهتدوا بوحى السماء المنزل على أفئدة وقلوب أنبياء بنى اسرائيل، وأن دعوة الاسلام هى دعوة كل الرسل والانبياء وأن الاسلام هو اسلام القلب لله . وبهذا المنطق الواضح دخل الناس جميعا الى الاسلام ماداموا يؤمنون بالتوراه والانجيل والقرآن .

وللمسجد الأقصى رسالة روحية سامية فى الاسلام ، ويؤكد ذلك ما جاء به القرآن الكريم فى سورتى آل عمران ومريم

بصفة خاصة . وقد اكتشفنا أن الموقع الروحى للمسجد الأقصى يكمن فى آيات القرآن التى تتحدث عن أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين،أمثال سيدنا زكريا ويحى ومريم وعيسى عليهم السلام . وغيرهم من الأسماء اللامعة التى عاشت رسالتها حول المسجد الأقصى والذى بارك الله حوله . وبالبحث والتنقيب فى سورة مريم اكتشفنا الآثار الروحية الدالة على الموقع الروحى للمسجد الأقصى،مما تحتم معه فك الرموز الروحية المتمثلة فى أول آية فى سورة مريم فى قول الله تعالى " **كهيعص** " . وقد بينت هذه الرموز الاطار الروحى الذى كان حول آل المسجد الأقصى من بنى اسرائيل . وقد خصهم الله سبحانه وتعالى بكفايته الخالصة . حتى أنه لم يعد لآل المسجد الأقصى احتياج لأحد غير الله . وأن كفاية الله فوق كل كفاية . هذا ما يرمز له حرف الكاف الذى تقدم فى الآيه القرآنية "**كهيعص**" . وأن الهاء تمثل استجابة الدعاء،بما وهبه الله سبحانه وتعالى لهم جميعا من هبات روحية ومادية . فكان حرف الهاء الذى يشير الى هبة الله سبحانه وتعالى . وأن المدقق يرى أن حرف الياء يشير بكل وضوح الى يسر الله سبحانه وتعالى . وقد جاء ذلك فى قوله تعالى لمريم

عليها السلام "**وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ، فكلى واشربى وقرى عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا**" (مريم :٢٥-٢٦) . وتلك اشارة سريعة للوقوف على ما تمتع به أنبياء ورسل بنى اسرائيل من يسر واضح، وقد من الله به عليهم من قبل لسيدنا موسى عليه السلام بأن يسر له أمره وأحلل عقدة من لسانه . ويتضح أيضا أن عين الله سبحانه وتعالى كانت حافظة لمريم والمسيح عليهما السلام ، وقد خصهما برعايته الواضحة حتى لا يصابا بالأذى أو العدوان، وقد أشار حرف العين الى عين الله التى لا تنام ولا تغفل. ويمضى كل ذلك فى اطار الصدق الكامل الذى آمنت به مريم، حيث صدقت بكلمات ربها وكتبه، كما صدقها الله فيما كلفها به وغيرها من الأنبياء والمرسلين ، وكان حرف الصاد هو المشير للصدق. وهكذا كشف الله سبحانه وتعالى عن المجال الروحى لكل من عاش حول المسجد الأقصى من خلال كفايته وهباته ويسره وبصره وصدقه . وذلك هو المسجد الأقصى الذى كان فى عين الرسول وفى قلبه .

وان كانت رسالة المسجد الأقصى هى رسالة الطهارة الروحية، تلك التى رأتها الملائكة فى قلب مريم عليها السلام **"وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ، يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين "** (آل عمران :٤٢-٤٣)، ومعجزات المسيح ومن قبله سيدنا موسى عليهما السلام، فان رسالة المسجد الحرام هى رسالة سيدنا ابراهيم المواجهة للأصنام وللفساد، بل هى أيضا رسالة البناء والتشييد فيما قام به سيدنا ابراهيم واسماعيل من رفع قواعد البيت ، وهى أيضا رسالة الهدم لكل الأصنام التى تشيع الظلم والفساد كواجهة للحكام والملوك الذين ألهوا أنفسهم وفرضوا عقائدهم الخاطئة على شعوب الأرض التى يتحكمون فيها، فكانت ليلة الاسراء هى ليلة الرؤية الواضحة للرسول الكريم فى أمر دينه ورسالته، فأيقن الرسول ﴿ﷺ﴾ من خلال علم الغيب بأن الاسلام سينتشر، وأن ممالك الظلم ستنتهى وتتحطم، وتلك نظرة حقيقية منحها الله لرسوله للاطلاع على غيبه وعلمه، وكذلك من تكريم الله لرسوله ﴿ﷺ﴾ أن يتحقق بالغيب ويتحقق أيضا بالقدر، وأن أقدار

الله سبحانه وتعالى هى طريقه نحو النجاح والفوز والفلاح، وأنه لن تظهر قوة على الأرض تهدد أو تبدد قدرا من أقدار الله سبحانه وتعالى، وذلك هو ايمان الرسول الكريم بالقضاء والقدر. تلك هى طبيعة العلوم الالهية فى الرؤية والمعرفة وصقل الايمان فى لحظات من الزمن، وكيف لا وقلب الرسول ﴿ﷺ﴾ معلق بالله سبحانه وتعالى . ثم يتجلى الله على رسوله الكريم بأن يفتح له أبواب السماء. وأبواب السماء أكبر جامعة روحية فى العلم الالهى. ففى كل سماء ملائكة تعلو أو تتنزل لتؤكد على الطبقة النورانية المتمثلة فى السماء الأولى حتى السابعة، وتتحدد السموات بحركة الملائكة، ولكل سماء ملائكة قائمة بعلم ربها وقد كلفها الله باطاعته وعبادته كما كلف الناس بالتكاليف الشرعية .

ونلتقى مع الرسول ﴿ﷺ﴾ فى رحلته المباركة نحو الاسراء والى العروج لأسرار السماء. وينطلق الرسول ﴿ﷺ﴾ من عالم الروح الى آفاق قد لا يستوعبها عقل بشرى، لكنها تعتمد فى استيعابها على تصديق قلبى وايمانى. ولذلك لن تستخدم المقاييس العقلية فيما يذهب اليه الرسول ﴿ﷺ﴾ من رحلة روحية لا تخضع لمواصفات الزمان ولا المكان ولا لتقديرات

الغـيب. وعـالم الـغـيب ليس فـيـه مـجـال لمقـايـيس الـعـقل، فالمقـاييس الروحية هى التى تسـتطيع أن ترى وأن تؤمن بعـالم الغـيب. وجـاء أيضا فى قـول الله تعـالى "**الم،ذلك الكتـاب لا ريب فيه هدى للمتقين، الذين يؤ منون بالغيب**" (البقرة : ١-٣) . فمن الواضح أن الآيات بدأت بغـيب فـى المعرفة، لأن "**الم**" غيب على العـقـول المفسرة والمدركة، وأول صـفات المؤمنين فـى مطلع سـورة البـقـرة الايمان بالغـيب . فـهـو الأول فـى التـرتيب. وحـينمـا نفكـر فـى مـقايـيس الايمان نجـد أن أهـمـهـا هـو الايمان بالغيب، ومن الايمان بالغـيب الايمان بالملائكـة. ومن أجل حقـيـقـة الايمان فـان الله سـبحـانه وتعـالى أوحى الى السـمـاء أن تدعـو الرسـول ﴿ﷺ﴾ ليكـون فى ضيافتهـا، وعلى الجانب الآخر ليعلم الرسـول ﴿ﷺ﴾ من أسـرار السـمـاء كـمـا علـم مـن أسـرار الأرض حينما ولد عليها وعاش يحبو على رمالها وترابها، فإن السـمـاء لهـا حق فـى اسـتـضـافتـه ورؤيتـه ومـعـايشـتـه وليس هناك مسـتحيل على الله سبحانه وتعالى .

استـجاب الله سـبحـانه وتعالـى لدعاء السـمـاء، وتفـقـد الرسـول ﴿ﷺ﴾ عـالم السـمـاء فوجد ملائكـة الرحـمـة، والملائكـة المختـصـة بفـك الكـروب، وملائكـة الغـوث . وكلها جنود مـجندة

لخدمة انسان الأرض، أعدها الله سبحانه وتعالى كما أعد ثمار الفاكهة على غصون الأشجار. كانت الأرض قد نبتت منها شجرة تتجه فروعها الى السماء، فرأى الرسول ﴿ﷺ﴾ من آيات ربه الكبرى فى علمه عن السماء وقد علمه شديد القوى وهو بالأفق الأعلى. واستمر الرسول ﴿ﷺ﴾ يرى ويشاهد ويلمس ويتحقق ويتأكد ويعلم. والرحلة تستمر فى سمو يعلوه سمو وطهارة فوق طهارة ونور على نور وقرب بعد قرب، ويقول الله سبحانه وتعالى عن هذه اللحظة من الرقى "**ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى**" (النجم : ٨، ٩). فعند القرب الشديد من الله سبحانه وتعالى يقول تعالى فى القرآن الكريم "**فأوحى إلى عبده ما أوحى**" (النجم : ١٠). وحينما رأى الرسول ﴿ﷺ﴾ هذه السموات بما فيها من روحانيات حققت ما كان يراه وهو فى عالم الأرض، وكأن الرؤيا لم تكن جديدة عليه، وهذه الرؤيا كانت مع جده سيدنا ابراهيم حيث يقول الله سبحانه وتعالى "**وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين**" (الأنعام: ٧٥). فسيدنا ابراهيم قد دخل الى مرمى الرسول الروحى فى الكيفية وفى التحقق وفى التصديق، وبالتالى فإن الأسرار التى كانت عند

سيدنا ابراهيم فى رؤيته لملكوت السموات والأرض من مكانه على الأرض هى نفس المكانة عند الرسول ﴿ﷺ﴾ حينما كان يرى ملكوت السموات والأرض وهو فى عالمه الأرضى، فإذا ما عرج به الى السموات العلا فقد رأى ملكوت السموات من القرب القريب. والفرق بين رؤية سيدنا ابراهيم عليه السلام ورؤية الرسول ﴿ﷺ﴾ هو الفرق بين الثبات والحركة. فسيدنا ابراهيم رأى ملكوت السماء من حال الثبات بينما رأى الرسول ملكوت السماء من حال الحركة.

وهكذا فإن الانسان المؤمن اما أن يذهب الى ما يريد أن يؤمن به من سموات أو من جنات، واما أن تقترب منه السموات أو الجنات ليرى منها ما يشاء، وجاء فى القرآن الكريم "**ما كذب الفؤاد ما رأى**" (النجم:١١). فما رآه بالأمس رآه اليوم ولم يكن ضربا من الخيال لكنه كان حقيقة. والحقيقة هى جوهر الايمان بالله سبحانه وتعالى. فعلى أى شئ يمكن أن يمارى فيه الرسول ﴿ﷺ﴾ أو يشك فيه أو يظن به، فجاءت الآية لتخاطب الذين تشككوا فى رحلة الرسول ﴿ﷺ﴾ وأصابتهم الريبة "**أفتمارونه على ما يرى**" (النجم: ١٢). أين المقاييس التى تطبق على هذه الحالة الروحية؟.

لقد دعا الله سبحانه وتعالى رسوله الى مزيد من الرؤية ومزيد من اللقاء "**ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى**" (النجم: ١٣ - ١٤). فالقرآن يحدد المكان، وكأن أماكن السماء تتماثل مع أماكن الأرض، ففى الأرض جبل عرفات وفى السماء سدرة المنتهى. وعند سدرة المنتهى لم يستطع رفيق الرسول سيدنا جبريل أن يواصل الرحلة الى حيث رحاب الله سبحانه وتعالى، وقال للرسول لو خطوت خطوة واحدة لاحترقت. وتقدم الرسول ﴿ﷺ﴾.

ومن هنا نرى أن الجبال تتصدع من الحياة الروحية والأرض تتململ من الحياة الروحية وجبريل عليه السلام لا يتحمل الحياة الروحية، بينما الرسول ﴿ﷺ﴾ وحده هو الذى يتحمل الحياة الروحية ليقترب أكثر وأكثر من جاه الله سبحانه وتعالى ونوره وسلطانه وعظمته وقوته. وتقدم الرسول ﴿ﷺ﴾ الى رحاب الله. فالطريق الى الله سبحانه وتعالى لا يماثل مقابلة ملك عظيم، والطريق المؤدى الى القصور الملكية على جانبيه الحدائق والتماثيل. أما الطريق الى ملك الملوك ليس فيه أشجار أو نباتات ولكن على جانبيه جنات وكل من هذه الجنات تثير الألباب والقلوب لينظر اليها

كل من يعرج الى السماء، فانه يبهر بما يظهر من الجنة التى من خصائصها أنها تأخذ بالألباب وتجذب الأنظار وتجعل الانسان لا يستطيع أن يفارق رؤية الجنة أو التمتع بالقرب منها. فلم تستطع هذه الجنات أن تشد الرسول اليها بالرغم من جمالها وروعتها وفتنتها، وضرب الرسول ﴿ﷺ﴾ المثل فى ذلك حيث لم يلتفت الى الجنات عن يمينه أو يساره.

ويوضح الله سبحانه وتعالى حقيقة الجنات عن اليمين وعن الشمال وعند سدرة المنتهى، حيث يقول تعالى "**عندها جنة المأوى**" (النجم : ١٥). حدد الله سبحانه وتعالى أول جنة مر عليها الرسول أنها جنة المأوى، فهى من طبيعتها أن تؤوى كل من يقترب منها ولكن الرسول ﴿ﷺ﴾ لم يفتتن بها، وعرفت أنه يريد وجه الله سبحانه وتعالى فى عالم انقشعت فيه الحجب، عالم الخضوع والخشوع لله سبحانه وتعالى، بخلاف عالم الأرض حيث المفاسد والمظالم والأصنام وظلم الانسان لأخيه الانسان. انه عالم السماء ، وشتان ما بين هذا وذاك "**رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده**" (غافر : ١٥).

وأنطلق الرسول ﴿ﷺ﴾ ليتحقق من هذا الوجود الالهى والأنوار الالهية، وكلما خشع قلبه وسجد كلما اقترب "**فاسجد واقترب**"، و يقول الله سبحانه وتعالى "**ما زاغ البصر و ما طغى**" (النجم : ١٧). ان بصر الرسول ﴿ﷺ﴾ لم يتشتت ولم يتوزع وكان دائما ناظراً الى الله سبحانه وتعالى "**وجوه يو مئذ ناضرة، الى ربها ناظرة**" (القيامة: ٢٢- ٢٣).

هذه هى رحلة الرسول العلمية، والتى قيل انها رحلة للتسرية عن الرسول ﴿ﷺ﴾ على ما أصابه قبل الرحلة، ولكن الحقيقة أنها كانت رحلة علم، وتحقيقا لدعاء السماء التى أحبت الرسول لتراه ويراها عن قرب، لتفقد السموات ورؤية الملائكة الأبرار والتعايش مع الحياة الروحية التى أهلته ليرتقى فى درجات السمو والقرب عند مليك مقتدر هو الرحمن. وكما بينا أن حادثة الاسراء والمعراج كانت رحلة روحانية مباركة من أجل العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله، فهى ترجمة الايمان الحقيقى بما حدث فى الاسراء وامامة الرسول ﴿ﷺ﴾ للأنبياء، وهى فى نفس الوقت أيمان بكتب الله ورسله، ايمان لا يغشاه الظن أو الريبة. فالايمان بعالم السماء يؤكد على ضرورة السمو الانسانى فى الأخلاق وفى العبادات، فكانت رحلة

العروج الى السماء. وهى بكل مقاييسها لا يمكن الاقتناع بها الا من خلال المقاييس الروحية. ولأن الرحلة ليست فى عالم الواقع ولكنها فى عالم الحقيقة. والحقيقة قد لاتبدو بالعقل، لكن العقل له الأمور التى تكون متوقعة، ولذا فان الحقيقة قد تختفى عن العقول الباحثة، ولكنها لا تختفى عن القلوب النابهة التى رأت وابصرت من خلال تعطف أنوار الله سبحانه وتعالى عليها ورحمته وبركاته. وكانت هذه الرحلة بمثابة رد الزيارة التى قامت بها السماء لتلتقى بالأرض فى ليلة مباركة هى ليلة القدر، فلولا الأولى ما كانت الثانية، واحتسب هذا الحدث الروحى العظيم عند الله سبحانه وتعالى والملائكة زيارة محمدية لهذا الكون المقدس.

تكليف الرسول بالدعوة

وتهيأت القلوب المؤمنة لاستقبال حبيب الرحمن ومنقذ الانسان، وكان ذلك فى المدينة المنورة حيث اجتمع رجال حول الرسول ﴿ﷺ﴾ يأخذون عنه ويؤمنون بدعوته ورسالته السماوية. وفى المدينة تسرى الكلمات الطيبة فى قلوب أهلها فيعلنون عن ولائهم للرسول الكريم وتخضع المدينة لحب رسول الله ﴿ﷺ﴾. وفى كل يوم تزداد المحبة وتتأكد الصلة بالرسول ﴿ﷺ﴾ وبذا ساد المدينة جو المحبةو الاخلاص، وهذا وحده اعجاز على التلاقى والحب والايثار.

فلم يتآلف الناس برغبة فى مال أو جاه أو سلطان، ولكن جمعتهم الألفة فى الله سبحانه وتعالى، وكما يقول الله فى القرآن الكريم "**لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم**" (الأنفال : ٦٣). وتلك من الحقائق الدامغة التى شهدها التاريخ وسجلها، لتكون منظومة رائعة أو صورة معبرة عن ولاء أهل المدينة من المؤمنين لرسولهم الكريم، وذلك كله تأكيد على أثر الكلمة الطيبة والأخلاق الكريمة والأدب الالهى، وهذا برهان على شخصية الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾.

ويدلل القرآن الكريم فى كثير من آياته على صفات الرسول ﴿ﷺ﴾ ،وكذلك على ما كلفه الله به. ويكفى أن نشير إلى هذه المعانى بالقاء الضوء على موقع من المواقع الكثيرة فى القرآن الكريم وذلك فى قول الله تعالى "**ياأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا و مبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا** " (الاحزاب: ٤٥ - ٤٨). وهذه آيات من الآيات المبينة لشخصية الرسول الكريم وأثره الواضح فى تغيير مجتمعه وهجرة الناس الدائمة الى الله سبحانه وتعالى .

يـــاأيــــها النبى

ومع اشراقة الآيات المباركة يستشعر القارئ والسامع مدى تقدير الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم وذلك من خلال النداء الروحى وصوت الالهام الذى أتى من فوق سموات سبع، ومن خلال ياء النداء التى جلجلت فى السموات وفى الأرض وربطت الأرض بالسماء، فان كانت قد بدأت سرا بين الله ورسوله حين كان النداء، فانها انتشرت مع روعة القرآن وحلاوته وانتشاره بين الناس، ليظل النداء الالهى مستمرا على رسول الله سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ الى أبد الآبدين.

لم يكن نداء الله للرسول من أجل يقظة لأنه ﴿ﷺ﴾ كان دائم اليقظة لله سبحانه وتعالى، فكان النداء الذى ربط ما بين الأرض والسماء هو تكليف الرسول بالمهام الأساسية للدعوة، وهو تكليف يتوج تكاليف الله الشرعية لرسوله وللمؤمنين . ولقد كانت لغة الله فى القرآن الكريم توضح بشكل مثير للالتفات والانتباه فيما يختص بتقدير الله لرسوله حينما قال له "**يا أيها النبى**" . فالله سبحانه وتعالى يخاطبه بهذه الكلمة بينما قد يتهاون من قال للنبى: يا نبى، وهذا هو الفارق

بين خطاب الله وخطاب غير الله لرسول الله سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾. إنه تبجيل الرسول واحترامه ومناجاته بأحلى الكلمات وأعطرها وأعمقها حباوعاطفة. وذلك هو مقام الرسول الكريم عند ربه. وأيضا عند خلق الله جميعا فى الأرض وفى السماء.

وكلمة نبى جاءت من الإنباء. فالرسول الكريم ينبئ عن الله سبحانه وتعالى، وغيره ينبئ عن الدنيا وأخبار الملوك والعظماء والساسة والقادة وغيرهم. ولكن الرسول ﴿ﷺ﴾ ينبئ عن ربه. وهذه منزلة كبرى أن يكون الرسول هو المتحدث الرسمى عن الله سبحانه وتعالى، ، وتلك قمة الخلافة وروعة التقدير والثقة من الله سبحانه وتعالى مما دفع كثير من الناس للاقبال عليه والثقة فيه حتى يومنا هذا والى أن يرث الله الأرض وما عليها ، كانت هذه مكانته وكانت مكانته أيضا قبل أن يتنزل عليه القرآن.

ويتحدث الرسول الكريم عن الله فيما جاءه وحيا أو الهاما ، ومن خلال وسائل الاتصال التى بينه وبين الله سبحانه وتعالى. كالوحى والرؤيا والمشاهدة والهاتف والاشارة والالهام. وتلك علوم غيبية لا تغيب عن الرسول ﴿ﷺ﴾. وقد تغيب عن كثيرين ممن لم يلمسوا الحياة الروحية التى تجعل القلوب متصلة بربها المحبوب.

إنــا أرســلنـــاك

الحديث عن الرسول (ﷺ) انما هو حديث عن العلاقة القوية بين العبد وربه، وهذا عالم روحى تتكشف فيه الحقائق والمعارف والعلوم، وتتأكد فيه القلوب من قربها ودنوها من ربها، وتسمو العبادات من خلال المعرفة حتى تبدو الفرائض كأنها مقدمات للعبادة المثلى . وفيها ينتقل العابد من عبادة الله بالتكليف الى عبادة الله بالتعريف، فيقيم الصلاة وقد سكن فى قلبه الله. وكان الرسول الكريم (ﷺ) فى صلواته يقترب من الله كاقترابه فى ليلة الاسراء والمعراج ويقول "**أقرب ما يكون العبد الى ربه وهو ساجد**". كما يقول "**وجعلت قرة عينى فى الصلاة**"، وكلما حزبه أمر من الأمور فزع الى الصلاة وقال لبلال أرحنا بها يا بلال، فكان يؤمن أن الله معه فى سجود قلبه وخشوعه. ويستمر الصوت الرقيق والوحى المنزل فى إخبار الرسول بتكاليف الهية.

انه القرار الالهى الأول الذى حدد مهام الرسول الكريم فى قول الله تعالى "**إنا أرسلناك**". وهذه هى الرسالة التى تقوم أساسا على الرحمة كما جاء فى قول الله تعالى

"**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**" (الأنبياء : ١٠٧) انما يوضح بصورة لا تخفى على أحد أن رسالة الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ هى رسالة الرحمة، ومن أجل ذلك يقول الرسول ﴿ﷺ﴾ لأصحابه "**إنما أنا رحمة مهداه**". وتكثر الأحاديث النبوية عن الرحمة لتكون كالآلئ اللامعة على وجه الرسالة المحمدية. ومنبع الرحمة يكون من مكارم الأخلاق، فليست الرحمة من فراغ. ولذا يقول الرسول ﴿ﷺ﴾ "**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**". فتلك من رحمة الله سبحانه وتعالى على الناس والخلائق أجمعين أن تسود الأخلاق وتبقى الرحمة ثمرة ناضجة لكل المتذوقين والراغبين فى حياة طيبة هانئة آمنة.

ومن اشراقات الرحمة على الأرض الأمن الذى تطمئن به القلوب وتنصلح به الأحوال . فلا فزع ولا خوف ولا ضيق ولا معاناة . فالناس جميعا أخوة متحابون، لا فرق بين غنى أو فقير الا بالتقوى والصدق والاخلاص، فلن ينزعج فقير لقلة المال وهو يعلم أن المال مال الله . ولن يتطاول غنى بماله ليبطش بالأرض ويبغى الفساد لأنه يؤمن بأنه ليس حرا فى انفاق ماله على نزواته وشهواته ورغباته الآثمة، بل عليه انفاق المال فى مصارفه الشرعية.

ولم يكن الأمن محصورا على الذين آمنوا بالرسول الكريم وأسلموا قيادهم لله، بل اتسعت دائرة الأمن لتشمل المخالفين فى العقيدة والمشركين بالله سبحانه وتعالى، فلا اكراه فى الدين. ولم يقف الأمن على بنى البشر وحدهم، بل تخطى الى الطير والحيوانات والنباتات، وتلك لا يجوز قتلها أو اقتلاعها لمجرد العبث والدمار بل من أجل المنافع الانسانية، وتلك انعكاسة الأمن على البيئة والسكان.

ومن الرحمة المهداة ضمان الحقوق وخاصة للنساء والأطفال، وحتى الجنين فى بطن أمه له حق فى الميراث كفلته شريعة الله سبحانه وتعالى. وتغلغلت الرحمة فى ضمير الأمة لتكون سر السعادة والانشراح فلا يبدو مؤمن بوجه عبوس ولا بلسان فاحش ولا بيد آثمة تستحوذ على ممتلكات الناس أو تسرق أموالهم أو تقبل المال الحرام بالرشوة وشهادة الزور وبيع الضمائر.

والحديث عن الرحمة لا يتوقف عند حد، ولذا فان حديثنا فى هذا المقام فيه اقلال وتواضع ، وهو يخلو من البحث الدقيق والانصاف الحقيقى ، وهو مجرد واجهة للحديث عن رحمة رسول الله ﴿ﷺ﴾ وأثرها على الانسان والمجتمع، وتلك هى رسالة الحبيب المصطفى سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾.

شــــــاهدا

أيقن الرسول ﴿ﷺ﴾ فى قلبه وايمانه التحقق الكامل بعالم الغيب وعالم الشهادة **"ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم"** (السجدة : ٦). وما يتعلق بالغيب. فهو من أولى نبضات الايمان بالله سبحانه وتعالى ومن أولى مواصفات المؤمنين والمتقين. والله سبحانه وتعالى يقول فى القرآن الكريم **" الم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون "** (البقرة: ١-٣) . ان الايمان بالغيب على قمة الترتيب الايمانى

ويمثل الايمان بالغيب الخطوة الأولى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والرسول ﴿ﷺ﴾ أول ما يشهد به هو حقيقة الغيب الذى قد يغيب عن العيون ولا يغيب عن القلوب . فهو شاهد على الله الباطن والظاهر وأثبت شهادته بقوله ﴿ﷺ﴾ **" أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله "** . ولم يكتفِ بالقول أو الاعلان ولكنه أكد على حقيقة التوحيد بشهادته اليقينية الصادقة . والرسول ﴿ﷺ﴾ رأى من آيات ربه الكبرى وآمن بالغيب عن

حقيقة واعية ورؤية صادقة ، وكما تتحدث رحلة الاسراء والمعراج ، لتعطى تأكيدا واضحا لايمان الرسول الكامل بعالم الغيب، والغيب كله هو الله سبحانه وتعالى ، فهو الظاهر بلطفه وجماله فى الأرض وفى السماء ، والباطن الذى لا يغيب عن قلوب المؤمنين بأنواره واشراقات علمه. فالله سبحانه وتعالى غيب تتحقق منه كل القلوب المؤمنة.

وننتقل انتقالة سريعة من عالمنا الروحى ونشاهد عن قرب عالم الشهادة، وكما جاء فى قول الله تعالى فى مهام الرسول الكريم " **يـأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا و مبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا ، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا** " (الأحزاب: ٤٥-٤٧) .

والحديث يركز فى هذه الوجهة على المهمة الثانية لرسول الله ﴿ﷺ﴾ بعد مهمة الرسالة ، وهى الشهادة فى قول الله تعالى " **يـأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا** " والشهادة يقول عنها الرسول الكريم " **ان الشاهد يرى ما لا يرى الغائب** " (آخرجه ابن سعد فى الطبقات عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه) فالشاهد حاضر وهو ليس بغائب أو مبتعد ، أو كله الله سبحانه وتعالى ليكون شاهدا، وأول ما شهده الرسول

أنوار الحق فى قلبه فعرف الله سبحانه وتعالى، شهد نعمة الله سبحانه وتعالى فى حياته من خلال نبوته وقربه من الله سبحانه وتعالى ، شهد التوحيد الكامل لله سبحانه وتعالى فكتب شهادته عند الله حينما قال أشهد أن لا اله الا الله ، وهذه منزلة من أرفع وأعلى المنازل،أن يكون الرسول ﴿ﷺ﴾ شاهدا على الله سبحانه وتعالى وقد كلفه الله بما أعطاه من منح وأسرار وهبات ليكون من أول الشاهدين على وحدانية الله ووجوده وحقيقته وحبه وأنواره وكل ما كان يراه من الله سبحانه وتعالى يشهد به على أنه الحق من ربه

وكما أنه ﴿ﷺ﴾ شاهد على أنوار الله وأسراره وغيبه ووجوده ووحدانيته،فهو شاهد أيضا على قلوب من آمنوا وأسلموا قيادهم لله سبحانه وتعالى ، فقد شهد أنوار الايمان فى قلوب المؤمنين ، فأصبح المؤمنون فى موقع شهادة الرسول ﴿ﷺ﴾ شهداء عند ربهم،وقد بشر الله الشهداء بالجنة،كما بشر الرسول من قال لا اله الا الله صادقا بها بالجنة أيضا. وشهادة الرسول ﴿ﷺ﴾ للمؤمنين تزيدهم ايمانا على ايمانهم ، لأن شهادة الرسول تثقل الميزان وترفع الدرجات وتسمو بالقلوب والأرواح ، وتلك من منن الله على عباده أحبائه

والمؤمنين به،الذين سلكوا الطريق المستقيم فعاشوا فى حياتهم لا يكتفون بأن يقولوا لا اله الا الله،ولكنهم يشهدونها صدقا وتطبيقا واخلاصا ويقينا وأملا . وهكذا شهدوا لا اله الا الله فى قلوبهم فخطت أقدامهم على الأرض لتثبت هذه الشهادة فيما يفعلونه عملا من حب للخير، وسعى من أجل مرضاة الله سبحانه وتعالى،والوقوف بجانب الضعفاء والمساكين والمغلوبين على أمرهم والمظلومين وكل من له مشكلة أو فى ضيق أو شدة،وذلك ما يشهده الرسول على المؤمنين من خلال صدق إيمانهم وروعته فى قلوبهم،وكل ذلك واقع تحت بصر رسول الله سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ ومن خلال رؤيته الروحية لقومه الذين يعملون من بعد حياته بالاسلام والايمان القوى بالله سبحانه وتعالى. قال ﴿ﷺ﴾ : "**حياتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم فاذا أنا مت كان مماتى خيرا لكم تعرض على أعمالكم كل يوم فان رأيت خيرا حمدت الله وان رأيت شرا استغفرت لكم**".

ولم يبق فى جو الشهادة الا شهادة أخيرة على هؤلاء الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. وهؤلاء الذين ابتعدوا عن الاسلام وعن الايمان ووقفوا فى

طريق الاصلاح وكفروا بالله سبحانه وتعالى وأظلموا الحياة على الناس بعدما جعلها الله نورا يأخذ بأياديهم ويمد لهم يد العون والرحمة، واذا بهؤلاء المتسلطين على الانسانية والخارجين على حدود الله والكافرين يعملون على اصابة الانسان بالضيق وبالشدة والفقر والهوان والمذلة.

والرسول الكريم شاهد على أعمال هؤلاء فى يوم القيامة حينما يقف الكافر الذى ألحد وضل وأفسد بين يدى الله نادما ويومئذ لن يفيد الندم، فعقاب الله شديد على الكافرين، بينما يشمل الرسول بشفاعته المؤمنين من أمته، فمن كان إيمانه ضعيفا دعا الرسول ربه للتجاوز عن السيئات وتكفيرها "**ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن ءامنوا بربكم فءامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار**" (آل عمران : ١٩٣). ومن كان إيمانه قويا تشفع له الرسول ﴿ﷺ﴾ بدعائه لله أن يدخله جنات أعلى ليلحق بالصالحين ليغبطهم الشهداء وترحب بهم الملائكة والأنبياء "**وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين**" (الزمر : ٧٣) ، وشفاعة الرسول الكريم هى ثمرة الشهادة التى

كلفه الله سبحانه وتعالى بها، ومن أجل ذلك فمن فقد شفاعة الرسول فقد رؤية الرسول له يوم القيامة وذلك لجفاء قلبه وظلمه وسوء تقديره لدعوة الاسلام.

وشهد الرسول بشفافيته وتأمله لآيات الله الكونية ، فعلم من علم الله وتجمل بجماله وتلطف بلطفه ، فجذبه العلم والجمال واللطف لمناجاة ربه واستعطاف الله للمزيد من رعايته وحبه وتوفيقه ، فكانت العبادة الراقية التى انعكست على صفوة من اتبعوا الرسول وتأسوا به ولتستمر الشهادة وتستمر معها الدرجات الرفيعة والمقامات الروحية العالية لتكون زادا شهيا للمؤمنين وإلى يوم الدين .

ومبشــــــرا

بالرغم من محاولة التعرف على الأسرار الروحية للرسول ﴿ﷺ﴾، الا أن تلك الأسرار كنز لم يكتشف بعد . ويتشابه ذلك مع حقيقة الجنة التى لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . فالرسول والجنة حقيقتان متشابهتان لا يعرف عنهماإلا أقل القليل . لقد منّ الله على رسوله بأسرار البشرى التى تنساب الى العقول و القلوب. وتلك خاصية يكاد الرسول ﴿ﷺ﴾ أن يتفرد بها ، اذ منحه الله سبحانه وتعالى أسرار القبول وطبيعة الحضور ولغة القلوب والدعاء المستجاب والاحساس بما تنطوى عليه النفوس حتى لا ينطلى عليه النفاق والمظاهر الخادعة. وأمام هذه الترتيبات الالهية فان فاعلية البشرى تكون ذات طبيعة مؤثرة للنفوس التى أحب الله لها الهداية . كما تكون البشرى بالنسبة للرسول ﴿ﷺ﴾ ذات طبيعة واعية لا تبشر القلوب الفاسدة التى لا يرجى منها صلاح ولا يؤمل لها شفاء ، ولا بشرى طيبة لأصحاب هذه القلوب، وان كانت لهم بشرى يبشرون بالعذاب الأليم .

والبشرى الحقة هى الايمان الكامل بالله سبحانه وتعالى، والتأكيد على وحدانيته لسلامة العقيدة الدينية. فمجرد أن يؤمن الانسان بالله الواحد. فان هذا وحده يثقل الميزان فى يوم الحساب ، وينعكس أثر الايمان بالله على المجتمع الانسانى بالمحبة والرعاية والأمن والسلام . لقد أرسله الله سبحانه وتعالى مبشرا وليس منفرا،فالانسان بحاجة ماسة الى الأمل والبشرى التى تسعد حياته وتدخل السرور على قلبه وتسمو بملكاته الروحية والفكرية ، وتلك من خصائص الدعوة المحمدية . فمن حق المعذبين فى الأرض والتعساء والمظلومين أن يفرحوا بما جاء به النبى من دعوة تدعو للوقوف بجانبهم ، فآن الأوان للتعساء أن يسعدوا بدعوة تخلصهم مما هم فيه ، وتلك هى البشرى التى جذبت القلوب المعذبة والنفوس المتألمة الحائرة لتشارك الرسول ﴿ﷺ﴾ كفاحه ونضاله من أجل تحرير الانسان وتخليصه من الآلام .

وان كانت البشرى فى الحياة الدنيا تهدف الى سعادة الانسان وأمنه واستقراره واستعادة المساواةوتطبيق العدل واشاعة السلام ، فان البشرى فى الحياة الآخرة هى التى تحقق للانسان مرضاة الله بدخوله الجنة كما قال الرسول ﴿ﷺ﴾:

"أبشروا وبشروا من وراءكم أنه من شهد أن لا اله الا الله صادقا بها دخل الجنة" (أخرجه الامام أحمد والطبرانى فى الكبير عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه) . ويؤكد القرآن الكريم هذا المعنى عن البشرى فى قول الله تعالى **"ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين ءامنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم "** (يونس : ٦٢-٦٤) .

وبشرى العمل الصالح تتجلى فى القبول من الله وتتضح من استجابة الدعاء وتمكين المؤمنين وابدال خوفهم أمنا وشقائهم سعادة وتشاؤمهم تفاؤلا، وعلى هذا النحو تكاد البشرى أن تكون ذات واقع ملموس يستشعره المؤمن ويراه فى حياة المؤمنين فيزداد ايمانا على ايمان ويهتدى بنور على نور. والايمان القائم على البشرى يمحو كل حرج وضيق وشدة ، حتى الذين يقاتلون فى سبيل الله يستبشرون برضوان الله عليهم **" يستبشرون بنعمة من الله وفضل "** (آل عمران : ١٧١) . فالمؤمن دائما مع احدى الحسنيين ، فيبشر بالنصر ويبشر بالشهادة .

فطريق الجهاد واضح، إما النصر وإما الشهادة . والذين مع رسول الله (ﷺ) يستبشرون بقربهم من الله فتتنزل عليهم الملائكة وتغمرهم المحبة وتغشاهم السكينة فترتقى أرواحهم الى معارج القدس الالهى فتشفى نفوسهم وتتطهر من آثامها . تنزلت عليهم الملائكة حتى قال أحدهم لو غاب عنى رسل ربى من الملائكة لما عددت نفسى من الموحدين .

فالأنوار والطمأنينة والملائكة والقبول والرضا من بشرى العمل الصالح، وشهادة المؤمنين فى حق الذين توفتهم الملائكة طيبين تبشر بالشفاعة لهم عند الله سبحانه وتعالى يوم القيامة " **أنتم شهداء الله فى الأرض**" (أخرجه البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه) . كما يقول الرسول (ﷺ) "**أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة أو ثلاثة أو اثنان**" (أخرجه أحمد والبخارى والنسائى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه) .

والبشرى تلاحق الانسان فى قبره . فقبر الانسان هو المؤشر الحقيقى لكل من فارق الحياة لأن القبور لا تلزم الناس بزيارتها ولا تملك قوة تلوح بها . ومع ذلك هناك قبور يزدحم الناس على زيارتها وتذكر مناقب أصحابها . وقبور هجرت وانفض الناس

عن زيارتها حتى تلاشت وانتهت معالمها . فالقبر مقياس يستخدم للتعبير عن صلاحية المتوفى ومدى ارتباطه بمجتمعه. فأضرحة الرسل والأنبياء وأولياء الله الصالحين بقاع طاهرة يلتف الناس حولها وتنجذب القلوب لها وتتنزل عليها الملائكة وبها تتميز الأرض عن غيرها،وهذه هى البشرى الظاهرة والواضحة التى تؤكد على صدق الدعوة واخلاص الرسالة وألفة الله ونصره واحسانه لعباده المخلصين . وما تحويه آيات القرآن من أسماء لامعة للرسل والأنبياء والصالحين مثل مريم عليها السلام انما هو تأكيد على البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولا تغيير ولا تبديل لكلمات الله وذلك هو النصر والفلاح والفوز العظيم .

وفى كل أمر من الأمور ولقاء من اللقاءات كان الرسول ﴿ﷺ﴾ دائما مستبشرا لايمانه الصادق بقضاء الله وقدره ، ولم يعرف عنه أنه كان مكتئبا أو متشائما . فالرسول ﴿ﷺ﴾ كان دائما متفائلا مستبشرا بعبادته لله سبحانه وتعالى وما أنزل الله عليه من آيات القرآن الكريم ومن الرحمات والطيبات وما رزقه من خير فى دنياه وفى آخرته . ويكلف المؤمن بأن يهتدى بهدى الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ ، فيكون دائما فى نطاق التبشير

بالكلمة الطيبة وبالعمل الصالح، فلا يرى المؤمن الا فيما يرضى الله ، فلا يسرق السارق وهو مؤمن ، فالمؤمن مع ذكر الله وما نزل من الحق .

وكان الرسول ﴿ﷺ﴾ يوجه الأنظار الى الذين والوه وأخذوا منه وباركهم الله سبحانه وتعالى فيقول " **أولياء الله الذين اذا رؤوا ذكر الله** " (أخرجه الحكيم الترمذى والبزار عن ابن عباس رضى الله عنهما) . فهذه كلها بشريات قد نماها الرسول الكريم فى أمته حتى يروا الحياة بما أفاء الله عليهم من نعمه الظاهرة والباطنة ويستبشرن بمرضاة الله سبحانه وتعالى .

فالمؤمن لا يعرف طريقه نحو اليأس ولا يعرِف طريقه من خلال خيبة الأمل، ولكن أمله فى الله كبير وثقته بالله أكبر وحياته كلها من أجل مرضاة الله سبحانه وتعالى ، وتلك بشرى الحياة الطيبة والايمان الصادق بالله سبحانه وتعالى ، ويرجع ذلك لما اعتاده المؤمنون بما يريهم الله فى منامهم وبما يلهمهم في قلوبهم وقد بشر الله يعقوب عليه السلام فرد اليه يوسف " **ولما فصلت العير قال أبوهم إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون ، قالوا تالله إنك لفى ضلالك القديم،**

فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون "
(يوسف : ٩٤ - ٩٦).

ومن البشرى تلك الدرجات الرفيعه التى حازها الانسان المؤمن بسبب اسلامه وايمانه، فرأى الحق وآمن به، وأمده الله سبحانه وتعالى بعنايته فأراه فى منامه وأراه فى يقظته وأنزل النور على قلبه. ومن بشريات العمل الصالح القرب من الله سبحانه وتعالى ، فيتفاعل المؤمنون فى حياتهم ويبشرون الدنيا كلها بالأمل وصلاح الأحوال ورضوان الله سبحانه وتعالى مع الاستمرار على طاعة الله والإيمان الكامل به سبحانه وتعالى، وتلك هى الحياة الإيمانية التى حولت الأرض والسماء الى جنات يغشاها الإنسان ويقطف ثمارها ، فيها من كلمات الله وبشرى القرآن وكلمات الرسول ﴿ﷺ﴾ التى تضيئ هذه القلوب بعدما كانت مظلمه، وتعطيها البركة والنور بعدما كانت خاليه . وهكذا كانت البشرى تملأ الحياه لكل انسان مؤمن وتمتد لتملأ الحياة الإجتماعية التى تأثرت بالإسلام وهدأت واستقرت وسعدت،وكلها بشريات العمل الصالح والمجتمع الاسلامى السعيد الذى قدمه الرسول ﴿ﷺ﴾

فى رسالته.

ولم تقف البشرى عند حد من الحدود ولكنها امتدت لتصحح العادات والتقاليد البالية التى عكف الناس عليها ، كقتل الأبناء خشية الفقر ووأد البنات خوفا من العار ، والبعد عن الصدق ، فجاءهم الاسلام يبشرهم بالحقيقة وبالصدق الكامل الذى يتحلى به المرء . وهكذا بشر الاسلام المخطئين فأصلحهم ، وبشر الكافرين فحولهم الى مؤمنين ، وبشر الفقراء فأغناهم عن السؤال ، وبشر الأغنياء فتقبل الله منهم أعمالهم الصالحة . وهكذا نجد البشرى سلاح الانسان أينما كان وأينما ذهب . بشرى تحقق الاستقرار والأمن والحياة الرغدة من خلال تقوى الله سبحانه وتعالى والعمل على مرضاته . والبشرى هى للحياة الدنيا والحياة الآخرة . ونختتم بقول الله تعالى " **ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** " (النحل : ٨٩)

ونـــــذيــــــرا

لقـد كلف الـله رسـوله (ﷺ) بنصح الـناس وهدايتـــهم بالحكمة والموعظة الحسنة. وقد لا يستجيب الناس لما يدعوهم اليه الرسول (ﷺ) لعدم التقدير أو سوء الفهم أو عـدم تحمل المسئولية . وازاء ذلك كان لا بد من وقـوع عـقاب الله عليـهم حتى يكونوا عبرة لغيرهم . وحيث أن دعوة الرسـول (ﷺ) لقومه تقوم على الرحمة كان لا بد من الانذار قبل حدوث الخطر من جراء عـقاب الله وعذابه للكافرين بما يدعـو اليـه الله سبحانه وتعالى . ويتبين من ذلك أن الأخلاق القرآنية كانت تدعو الرسول (ﷺ) للترفق بالناس وعدم التشفى لعذابهم أو الانتقام منهم ، وتلك من الجوانب الأخلاقية التى لازمت الرسول فى حياته لميله الشديد نحو العفو والصفح الجميل . فكان الرسول (ﷺ) منذرا لقومه اذا ما أساءوا او انحرفوا ، وهذا درس من دروس التوعية أو التربية الأخلاقية أو القيادة والريادة .

ومن الناس من يعمل على استدراج الناس ليقعوا فى الخطأ ثم تبدأ معاقبتهم أو محاكمتهم ، وهذا ما نراه كثيرا فى حياتنا اليومية التى قد تخلو من النصح والارشاد والعفو ،

فكأن المقصود هو معاقبة الخارجين على الأوامر والتعليمات والقوانين بغض النظر عن النصح والارشاد وخاصة للجهلاء والسفهاء وغيرهم . كما يقولون أن القانون لا يحمى المغفلين . بينما شريعة الله سبحانه وتعالى تتسامح مع الغافل والجاهل . ويؤكد القرآن الكريم على ذلك بقول الله تعالى " **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** " (الاسراء : ١٥).

والنبى المنذر يدعو الناس الى ما أمر به الله من أجل دعم المجتمع الانسانى بالأمن والسلام والمحافظة على كرامة الانسان وضمان حقه فى الحياة الحرة الكريمة وكفالة العدل والمساواة . فمن أجل سلامة المجتمع وحرية الانسان كانت الدعوة التى تقوم على الانذار والامهال والصبر على المكاره والايذاء . من أجل ذلك كان الانذار من قلب يدعو للخير وليس من قلب يدعو للضرر والأذى . والفارق واضح بين من ينذر بنصحه وسمو عقيدته وبين من ينذر وبيده عصا أو سلاح . وتلكم هى خصائص الدعوة ونظرة الرسول ﴿ﷺ﴾ للحياة وللإنسان .

وداعيا إلى الله بأذنه

وحينما اختص الله رسوله ﴿ﷺ﴾ بالدعوة اليه أعده وهيأه ليدعو بقلبه الطاهر ونفسه المطمئنة وعقله الراجح وبصيرته النافذة والهامه الصادق وأحاسيسه الرقيقة ونظراته الرحيمة ولسانه العذب ووجهه البشوش وطبيعته الخيرة، فيكاد كل جزء فيه أن يكون مكلفا بالدعوة الى الله سبحانه وتعالى. وذلكم هو الداعى الذى يرقبه أهله وعشيرته وأصحابه وأحباؤه، فيتأثرون بهيئته وحديثه وآدابه وأسلوب حياته،حتى فى طعامه وشرابه ونظافة أسنانه وملابسه وعنايته بزينته. فكل حركة وسكنة ويقظة ونوم وعمل وجهاد شدت انتباه الناس ليأخذوا عنه ويقتدوا بسنته. فهو الداعى فى هزله وفى جده وفى ضيقه وشدته ومحنته وفى نصره وتحقيقه لأمانيه وآماله فى انتشار دعوته.

وقبل أن يكلف الرسول ﴿ﷺ﴾ بدعوة الناس الى الله كان فى هيئة النبوة مستجاب الدعاء عليما بما يعلمه من الله سبحانه وتعالى وتحقق من مقام العبودية وهو مقام القرب القريب من الله سبحانه وتعالى، فلا سبب يباعد بين العبد

وربه، بل كل الأسباب تدعو للقرب من الله، فكلما دعا الرسول ربه استجاب له فاستجاب الرسول لله فاستجاب الله للرسول فاستجاب الرسول لله . فالاستجابة هى الرابطة القوية بين العبد وربه وبين الرب والعبد ، ويقول الله سبحانه وتعالى " **وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون**" (البقرة : ١٨٦) . ويقول تعالى " **فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعلمون بصير** " (هود : ١١٢)

وبذلك التركيب الروحى المتميز للرسول ﴿ﷺ﴾ استمرت دعوته بعد وفاته ولقاء ربه وأقبل الناس على دعوته وكأنه فيهم وأحبه الناس وكأنه معهم ، فلم تكن دعوته الى قومه فقط يراهم ويرونه بل كانت أيضا لأحبائه الذين لم يجالسوه ويصافحوه . ويؤكد الرسول هذا المعنى حينما كان جالسا بين أصحابه فاذا به ينظر اليهم ويقول " **متى ألقى أحبابى ؟ متى ألقى أحبابى ؟ فقال بعض الصحابة : أوليس نحن أحبابك؟ قال : أنتم أصحابى ، ولكن أحبابى قوم لم يرونى وآمنوا بى ، وأنا لهم بالأشواق** " (أخرجه أبو الشيخ فى

الثواب عن أنس بن مالك رضى الله عنه) .

وان كان للرسول ﴿ﷺ﴾ تأثير روحى واضح على أصحابه وأحبابه،فان دعوته قد حظيت باحترام من خالفوه فى العقيدة، ورأى المنصفون منهم والمحايدون أنه لا يمكن انكاره كمصلح اجتماعى،ولا يستطيع أشد الناس عداوة لدينه أن يخالفوه فى مقصده ووجهة نظره فيما يعلنه من اسلام على الناس ومن خلال مقولته الشهيرة "**الاسلام أن يسلم لله قلبك**". فهل يختلف أحد على وجه الأرض فى مثل ذلك التعريف الحاسم الذى تحتشد فيه كل كلمات الرسل والأنبياء من قبل، والتى تؤكد لكل من وافقه هذا التعبير عن الاسلام أنه مسلم من كل قلبه حتى ولو ادعى غير ذلك. وتلك هى الدعوة الخاتمة التى أمره الله أن يدعو بها ويتعلم من بعده من الدعاة عن كيفية الدعوة لله وذلك فى قول الله تعالى "**أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**" (النحل : ١٢٥).

ازاء ما تقدم ينبغى على كل انسان أن يعطى للرسول ﴿ﷺ﴾حق قدره بالتوقير والايمان والحب والاستجابة، ويجب على

الانسان أن يعود الى الحق وأن يكون محايدا. فما عليه أن يعادى رسولا أحبه الله. وما عليه أن يظلم نفسه بتنكره للرسول ﴿ﷺ﴾ وعدم ايمانه بما يدعو اليه. إن أبسط المعايير تدعو الى تحليل الكلمات والوصول الى الحقيقة والمنطق السليم دون اقحام النفس فى تحمل خطأ انكار نبوة ومحاربة دعوة يغضب من أجلها الله سبحانه وتعالى ، ولا تعقيب على اختيار الله واصطفائه. بينما يحق التعقيب على الكلمات أو المبادئ الخارجة عن الأخلاق وما تدعو اليه الكتب السماوية. ويقول الله تعالى "**رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق**" (غافر :١٥). ان دعوة الرسول الروحية لم تكن تقف عند حد الكلمات ومخاطبة العقول،ولكنها كانت تخاطب ملائكية الانسان فى قلبه وفى ضميره،فيتحول الانسان نفسيا وقلبيا الى الاسلام بعدما أسلمت أعماقه وذرات ملائكيته التى تمثل نور الله فى الانسان وقبضته وهيمنته.

يوضح القرآن الكريم أن الرسول﴿ﷺ﴾ هو الداعى الى الله سبحانه و تعالى كما أمره الله سبحانه وتعالى . فالرسول داع الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وبالأخلاق الفاضلة

والسماحة والرحمة والمغفرة وكظم الغيظ وأسرار وبركات النبوة . لم يكن الرسول (ﷺ) داعيا إلى دنيا تتسم بالشهوات ولا إلى جاه ولا إلى مال ولا إلى حاكم من الحكام أو ملك من الملوك على هذه الأرض ، ولكنه كان داعيا لله سبحانه وتعالى. فكلفه الله سبحانه وتعالى بأن يعيش حياته مكلفا بالدعوة إليه سبحانه وتعالى ، وكان ذلك من ترتيب الله أن يختار ويصطفى من يكون داعيا إليه ، فكان الاختيار للرسول الكريم لأنه الداعى إلى الله سبحانه وتعالى ، فكان الاسلام دعوة الرسول الكريم والايمان والتقوى والاحسان ، وكل هذا يدعو الى حياة الطمأنينة والأمل والرضا والرجاء باصلاح الأحوال وبلوغ الآمال ، فكان طوال حياته يدعو الى الله سبحانه وتعالى بالقول وبالقلب وبالفكر وبالعمل وبالجهاد والتضحية والاخلاص. وهكذا سلك طريق الدعوة الى الله سبحانه وتعالى فرفعه الله مكانا عليا وأنزل عليه سكينته وباركه ودعا أمته لتحبه وتعمل بما يقر عينه.

وهكذا أعطاه الله مسئولية الدعوة ومنحه سلوكها وأكرمه فى مساره الروحى وأنزل عليه ملائكته واحتسبه داعيا إليه ليس بمجهوده ولا بفكره ولا بذكائه ولكن باختيار

الله وباصطفائه لنبيه الكريم. فلقد دعا الرسول (ﷺ) العقول الى الله سبحانه وتعالى فآمنت ودعا القلوب الى الله فاستجابت وامتزج الايمان بالعقل والقلب.

وجوهر هذه الدعوة هو الله سبحانه وتعالى ، وهذا من التوجهات الروحية والمعنوية والنفسية والدنيوية أيضا من أجل المحافظة على الجنس البشرى وسلام الأرض وكرامة الانسان. فهو برنامج ضخم ذو مهام كثيرة ويحتاج الى نوع من التربية الحقيقية والآداب الربانية، ولا يقوى على هذا الا معلم كالرسول أرسله الله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين ومن مؤشرات وضوح هذا البرنامج قول الله تعالى "**قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**" (الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣).

فلقد سيرت هذه الدعوة المباركة حياة الانسان روحيا وماديا ودنيويا وأخرويا لاخضاعها من أجل الله وبالتالى آمن الانسان.فسخر حياته لله سبحانه وتعالى. وكما أن الصلاة لله سبحانه وتعالى فان النسك والحياة من أجل الله سبحانه وتعالى ومرضاته. فالانسان المؤمن لا يفرط فى الايمان ليؤمن بالبعض ويهمل البعض الآخر فلا افراط ولا تفريط.

وهكذا حقل الدعوة الى الله سبحانه وتعالى كبير متسع ويحتاج الى مجهودات مكثفة للعمل. فالدعوة لله سبحانه وتعالى ، أما الداعى المثالى فيجب أن تتوافر فيه شروط كثيرة من أهمها أن يكون نقيا صالحا مستجيبا لله. والداعى يجب أن تتطابق أقواله مع أفعاله. فلن يكون كمن يدعو لمحاربة التدخين وهو فى نفس الوقت من المدخنين وبالتالى فان دعوته لن تكون مؤثرة أو مقبولة. ويخطئ من يقول : خذوا بأقوالى ولا تأخذوا بأفعالى فان ذلك هو التهرب الواضح من الدعوة والافلاس الحقيقى للداعية. والداعية الحقيقى له نقاء حضور يحقق له التلاقى وتوارد الأفكار بينه وبين من يدعوهم ، فلا يبقى فى قلب أحدهم أمر الا وأظهرته شفافية الدعاء. وتلك الأوصاف لا تنطبق الا على الذين اصطفاهم الله وكانوا من أوليائه.

فالرسول ﴿ﷺ﴾ كان داعيا لله وغيره قد يكون داعيا للجاه أو السلطان أو المال أو الملك أو لعظيم من العظماء أو لملك من الملوك. لكن الرسول ﴿ﷺ﴾ بصفة مخصصة كان داعيا الى الله سبحانه وتعالى ، فيدعو فى قوله ويدعو فى صمته. يدعو فى صحوه ويدعو فى نومه وسباته ويدعو فى حركته ويدعو فى سكونه. فلا توجد لحظة من اللحظات تمر على الرسول

الكريم الا وكان فيها داعيا لله سبحانه وتعالى ، فعاش يدعو بلسانه وبعقله وبفكره، وعاش يدعو بقلبه وبروحانياته ، لذلك هناك النظرة الروحية الخارقة التى كانت تصيب القلوب.

فكان الرسول ﴿ﷺ﴾ يهدى الناس الى الله سبحانه وتعالى بقلبه وقد أسلم كثيرون من الناس بقلوبهم، فمنهم من نظر الى وجه الرسول الكريم فوجد الحلم والطهر والعفاف قد ارتسم على وجه الرسول ﴿ﷺ﴾ فآمن بقلبه ، ومنهم من جذب الرسول من جلبابه ليرى حلم الرسول ﴿ﷺ﴾ فأسلم حين وجد الرسول هادئا ساكنا لم يتحرك ولم ينفعل.

هذا هو فعل الداعى الى الله سبحانه وتعالى، أنه يستطيع أن يتحمل أذى الغير، ويستطيع أن يتحمل مصائب الأيام وكوارثها، ويستطيع أن يتحمل الضيق والشدة ولا يخرج لحظة واحدة عن حيز دعوته لله سبحانه وتعالى. ويستطيع أن يتحمل الثبات على الحق حتى ولو خالف ذلك أكثر الناس. فهو استعداد مرتب ومنظم ومنسق من الله سبحانه وتعالى ليلقى هذا كله فى ضمير وفى قلب وفى كيان الداعى الى الله سبحانه وتعالى، فطريق الدعوة هو طريق الشرف، وهو عمل من أجل مرضاة الله سبحانه وتعالى، وتكليف الهى من الله

من أجل عبادته على هذه الأرض التى تنعكس على حياة الانسان المثالية الآمنة. فالطريق الى الله سبحانه وتعالى هو طريق سعادة الانسان ورقيه وأمنه ومعيشته الطيبة . والبعد عن الله سبحانه وتعالى هزيمة وضيق وشدة وحرمان وظلم وقهر، وكما خلق الله الناس على هذه الأرض أوجد لهم الرسل والأنبياء ليدعوهم الى عمل الخير، ولم يخلق الله الناس على هذه الأرض ليعيشوا تحت وطأة الذلة والمسكنة والظلم وقبضة الفساد وتحت طائلة الطغاة ، ولكن كانت رحمة الله سبحانه وتعالى فى دعوة الرسل والأنبياء وخاصة خاتم الرسل والأنبياء الرسول الكريم سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾الذى شرفه الله سبحانه تعالى بقوله "**وسراجا منيرا**".

وسـراجا منيـرا

رسم الله الطريق اليه وخاض الانسان الحياة ليصل الى هذا الطريق، وفى الحياة ظلمات مكثفة وظلم بين وعراقيل تقف فى طريق الانسانية. فهل يستطيع الانسان أن يهدأ وينام فى مكان صحراوى منعزل، ربما يقلق فى الليل من خوفه من ثعبان أو عقرب أو من معتد أثيم جاءه فى الليل ليقطع عليه خيمته أو جداره الرقيق فينقض عليه ويستولى على أسرته وعلى ماله. فلم يكن هناك من مأمن أو من حماية تجعل الانسان يستطيع أن ينام مطمئنا فى مرقده، فى ليله ولا حتى فى نهاره.

وهكذا بات الانسان محصورا فى حياته. فهذه الظلمات التى اجتمعت فى مكان موحش، فى مكان وصف أهله بأنهم أميون تجاهلوا اليهودية والنصرانية. فالأمية ليست عدم معرفة القراءة والكتابة ولكنها الأمية الدينية التى لم تحفل بدين أو بعقيدة أو رسالة، ولم تأخذ بها ،وعلى ذلك فان النبى ﴿ﷺ﴾ لم يكن يهوديا ولم يكن نصرانيا ولكنه كان أميا على ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين .

هذه هى الحياة وهؤلاء هم القوم وتلك هى الطبيعة القاسية ، وبينما هم فى حيرة من أمرهم وفى شدة وفى تخوف وفى حساب الأيام ومع الزمن ، فاذا بشمس الاسلام تشرق وتبدو واضحة بأنوارها ومفاهيمها البسيطة البعيدة عن التعقيد ، فكانت كلمة الاسلام كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله. بدأت بكلمة لا لتقول لا للظلم، لا للطغيان، لا للنميمة، لا للسرقة، لا للعدوان، لاءات كثيرة لمشكلات كثيرة، هذا هو طريق الاسلام، طريق الدفاع عن الانسان وابعاده عن مشكلات الأيام وما ألم به من آلام، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يخرجه من الظلمات الى النور، فوضعه فى هذا الطريق فى الليل البهيم، فى ظلمات من فوق ظلمات وحياة كئيبة، فيخرج عليهم بلفظ الله سبحانه وتعالى سراج منير أضاء بنوره الحياة فتفتحت القلوب ، كما تتفتح الورود والأزهار والرياحين حينما تأتى شمس الربيع بالدفء فتزدهر الحياة وتغرد الطيور. سراج منير يسطع فى السماء فتتبدد الظلمات ويهتدى الناس الى طريق الله سبحانه وتعالى وقد امتلئوا بالأمل واستمدوا أنوارهم من نور رسولهم الكريم سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ وقد جعله الله سبحانه وتعالى شمسا

لا تغيب، فيدعو فى الليل وفى النهار وفى السر وفى العلن .

وان وصفنا الرسول ﴿ﷺ﴾ بالشمس أو القمر فان الشمس والقمر آيتان من آيات الله سبحانه وتعالى لا يتأخران دقيقة ولا يتقدمان، انضباط كامل وحسابات ثابتة. وهكذا الرسول ﴿ﷺ﴾ فيه صفة الكمال بأنه هو السراج المنير، فاذا ما اختفى القمر وأصبح هلالا يظل الرسول قمرا من يومه الأول الى وصوله بين يدى الله سبحانه وتعالى، فهو القمر المضئ الساطع النور الذى نهتدى بهدايته فى طريق الله وفى رحمة الله سبحانه وتعالى.

وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا

ومن أوفى مهام الرسول الكريم مهام البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، ويقول الله سبحانه وتعالى "**وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا**". والمؤمنون الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله يبشرهم الله بأنه قد أعد لهم أجرا عظيما وحياة دنيوية طيبة ، ومقاما فى الجنة ليسعدوا بإيمانهم وعفافهم وسترهم وليكونوا بالقرب من ربهم. وتنطلق الكلمات المبشرة لتعيش فى عقول المؤمنين، وتسمو القلوب بما حظيت من بركات الرسول الكريم باسعادها وانارتها بنور مقدس من بحر لا تنفد قطراته ، وهذا من فضل الله على هذه القلوب المؤمنة الموحدة. فالبشرى تسرى بين الناس كالنسيم العليل لتكون لكل المتطلعين الى الله سبحانه وتعالى ، وتغشى النفوس فتهب لها الطمأنينة والهدوء وراحة البال والمحبة الدائمة للقاء الله فى جميع الأحوال وتملأ الصدور بالأمل والرجاء فى الله سبحانه وتعالى .

وليس من المعقول أن تتوقف البشرى عند حد كلمات تسترضى الناس لتأخذ بأياديهم وتهدئ من روعهم، فهى لا

تغلف بكلمات جوفاء، فالبشرى هى الطريق المستقيم الذى يحقق الخير والسعادة فى حياة الناس الذين يبدل الله خوفهم أمنا وضيقهم سعة وعسرهم يسرا، لأن الاسلام هو البشرى الحقيقية بما له من تأثير طيب فى المجتمع الانسانى، والفرد واحد من هذا المجتمع، ولذا فان البشرى من نواتج الاسلام وهى محصلة العلاقات السليمة بين الفرد والمجتمع وبين المجتمع والفرد.

فجماعة الاسلام هم القوم السعداء الذين لا يشقى بهم جليس، فقد تحابوا فى الله وأخلصوا فى عملهم وطهروا قلوبهم من الشر والحقد والحسد، وتلك هى الأعمال الصالحة التى ترضى الله وتسعد المجتمع ، وما يحيط بالمجتمع من بيئة نظيفة وطبيعة جميلة تتأثر بخلق الله وانعكاسة جماله على الكون ، فتشرق الشمس بنور ربها وتتألق النباتات مسبحة لخالقها ويبلغ الطير مأمنه فلا يقتل لهوا ولا لعبا، ويتحتم على كل شئ أن يسبح بحمد ربه، وتلكم هى البشرى التى أصابت الانسان والطير والحيوان والجبال والبحار، حتى الحيتان فى أعماق البحار تسبح شاكرة لله على ما أنعم على الكون بنبى مختار كلفه بالاسلام ليصنع السلام بين

الانسان وأخيه وبين الناس وكل المخلوقات.

وبهذه المعانى انجذب الانسان رويدارويدا نحو جنة أعدها الله لكل من أحبه وعظم مقامه وعمل بكلماته وتحرك بنوره واطمأن بحبه. ولذا يجب التوضيح بأن البشرى ليست الأمانى والآمال التى يتشدق بها القوم، ولكنها حقيقة واقعة يستشعرها الانسان المسلم فى حياته. فاذا ما ضاقت الدنيا على قوم ترى أن هذا المؤمن لا تضيق به الأحوال، واذا ابتأس الناس فان من سمات البشرى أنها لا تجعل التعاسة والحزن تصيب القلوب المؤمنة. ففرج الله قريب من المحسنين.

فمع البشرى لا يوجد هم أو كرب أو نكد ولكنه صبر وتسليم وعزم وقوة احتمال بما يعبر عن ذلك بالايمان القوى. وذلكم هو المجتمع الاسلامى الذى يقوم على القيم الروحية والأسس الاجتماعية السليمة والتى تحقق للانسان سعادة فى الدنيا وسعادة فى الآخرة. ولذا يقول الله سبحانه وتعالى "**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين ءامنوا وكانوا يتقون، لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم**" (يونس : ٦٢ - ٦٤).

والبشرى فى الاسلام تشرق على القلوب المؤمنة كما تشرق الشمس على الأرض وتعطيها الدفء والحياة ، وقد أشرقت البشرى على الإنسان فمنحته الأمل والسعادة الروحية التى لا تقاس بمال ولا جاه ولا منصب ولا سلطان، تلك هى السعادة الحقة التى جعلت البعض يخرج عن صمته ليقول من خلال ما تحقق به من بشرى "**نحن فى لذة روحية لو علم بها الملوك لقاتلونا عليها**". فالبشرى كلمة صدق ألقاها الله سبحانه وتعالى من خلال كلماته التامات حينما يقول "**فبشرناه بغلام حليم**" فهى كلمة صدق لا تعنى الاحتمالات أو تتعلق بالآمال. فالبشرى حقيقة العمل الصالح المقبول عند الله سبحانه وتعالى وتلك من رسالة الرسول الكريم الذى يدعو الى البشرى كما جاء فى قوله ﴿ﷺ﴾ "**أبشروا وبشروا من وراءكم أنه من قال لا اله الا الله صادقا بها دخل الجنة**". والبشرى تأكيد وتوكيد وحقيقة لكل القلوب المؤمنة التى والاها الله برحمته وأكدها بكلماته فى القرآن الكريم "**لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**". وهكذا استعاد الانسان أمنه وراحة باله، فسعد فى الدنيا كما يسعد فى الآخرة من خلال كلمات الله فى القرآن الكريم.

ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم

الطاعة هى تطويع النفس الانسانية لتقبل التعديل والتغيير وتصحيح المسار والفهم والتصرف والسلوك، وذلك اذا كان من أجل مرضاة الله سبحانه وتعالى ، ولكنها لا تعنى طاعة الكافرين والمنافقين والمفسدين ومن على شاكلتهم من أهل الظلم، فاذا كان الانسان المؤمن طيعا فانه يقبل التغيير والاعتدال، وتلك نوعية قد لا توجد بين كثير من الناس لاسيما اذا كان الطابع الانسانى قائما على التشدد والتعصب ومرض النفوس فيما يختص بجمود العقل والبعد عن التفكير، وهنا قد لا تجدى النصيحة من أجل الطاعة.

فالطاعة الطبيعية كالحديد المطاوع الذى يمكن تشكيله وصياغته، والطاعة المتشددة كالحديد الصلب الذى قد لا يتشكل كيفما يكون التشكيل، ومن هنا حينما تكون النفس طيعة فانها تستطيع أن تغير من مساوئها الى فضائل ومكرمات. فتستطيع النفس أن تتقدم وترقى، فالمشكلة الأساسية فى أى دعوة هى عدم امكانية تطويع النفوس للتلقى والاستماع والتفهم، وتلك عقبة تقف فى طريق

الرسل والأنبياء والمصلحين. وقد أوضح القرآن الكريم هذا المعنى فى سورة البقرة فى قول الله تعالى "**إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم**" (البقرة : ٦ – ٧). هؤلاء بينهم القرآن الكريم بأن عليهم غشاوة حالت بينهم وبين الطاعة وامكانية التلقى والتصحيح . وهذه الغشاوة نتيجة عدم تحرى الأسباب التى تقود الانسان الى المعرفة الجيدة والبعد عن جمود الانسان الفكرى . وهذا من صنع الانسان وليس من صنع الله سبحانه وتعالى .

ومن أسس التربية أنه على الانسان أن يتعود الاستماع الجيد. والا فإن امكانية التغيير سوف تكون محدودة أو منعدمة. فمهما جاء من رسول أو نبى ليخاطب الناس على قدر ما يستمعون، فاذا هم يبتعدون عن السمع ويكادون أن يضعوا أصابعهم فى آذانهم يتعمدون عدم السمع لعدم التغيير والاستمرار على ما هم عليه. فهذا راجع الى المسلك الانسانى المعيب. فاذا كان الانسان قابلا لتطويع نفسه لما يستمع اليه . ولما يجب عليه أن يفعل فليس بذات معنى أن هذا

الانسان المطيع يطيع كل ما يصدر اليه من كلمات ومعان واتجاهات . وهنا الطاعة لا تكون فى موضعها الصحيح فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

فالانسان فى الأصل وفى الأساس عنده امكانية الطاعة ولكن يجب الا تكون هذه الامكانية لتحقيق أطماع ومفاسد المفسدين،لأن هذا الانسان سوف يستمع وسوف يطيع وعليه عدم طاعة الكافرين والمنافقين والمفسدين فى الأرض . ولذا فان الله سبحانه وتعالى يبين لنبيه ليحترس من الكافرين والمنافقين،لأن لهم أهواء مغرضة وألسنة كاذبة وقلوبا منافقة، وعليه أن يكترث وأن يحترس من أمثال هؤلاء الذين يريدون الحياة بوجهة نظرهم وبما اعتادوا عليه حتى يكونوا من أصحاب الذهب والفضة، وأصحاب الجاه و السلطان، وأصحاب اليد العليا، ولو أدى ذلك الى أن يقع الناس تحت أياديهم بالمذلة والهوان والظلم الشديد.

فمن أجل ذلك يتصدى الرسول ﴿ﷺ﴾لهؤلاء ولا يطيع من أغفل الله قلبه، ولا هذا الكافر الذى يود أن تبقى الحياة الظالمة على ما هى عليه، ولا ذلك المنافق الذى يظهر بخلاف ما يبطن. وهذا من نوعية التوجه الالهى لتحريض

الرسول ﴿ﷺ﴾ على عدم طاعة الكافرين والمنافقين .

وقد يكون الحديث كما هو واضح موجها أكثر ما يكون لمن هم مع الرسول من أصحابه والذين آمنوا، فلا يأمنوا لخداع الكافرين أو المنافقين الذين يصدون عن سبيل الله، ولا ينصب مجمل القول على كل الذين يخالفون دعوة الاسلام من اليهود أو النصارى، وأن الذين عايشوا مهبط الوحى ونزول القرآن يعرفون من هؤلاء الكافرين بأسمائهم وقبائلهم. وبهذا المفهوم لم يعرف المسلمون الطريق نحو ايذاء الذين يخالفونهم فى أمر الدين، بل يؤمنون بحرية الانسان فى عقيدته كقول الله تعالى "**وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر**" (الكهف : ٢٩).

فاذا كان الأمر موجها للرسول ﴿ﷺ﴾ فانه موجه حقيقة لأتباعه الذين يجب أن يحترسوا من أمثال هؤلاء الذين يريدون الاضرار بأمر الدين وايذاء الناس والقضاء على آمالهم وأحلامهم فى حياة طيبة هادئة هانئة أرادها الله سبحانه وتعالى أن تكون على هذه الأرض، وأرادوا هم أن تكون الحياة هانئة لهم كقلة منحرفة من الناس بينما يبقى الناس تحت أقدامهم.

وهذا فكر أصحاب الجاه والسلطان والقوة. عايشوه من خلال ما حولهم من قسوة الطبيعة التى تشهد القمم العالية من الجبال والرمال المترامية تحت أقدام الرجال . فهم يجدون أنفسهم قمما على هذه الأرض بينما كل الناس كأمثلة الرمال المترامية التي تثيرها الرياح وتلقى بها من مكان الى مكان . بينما تظل الجبال أوتادا راسية على هذه الأرض . فهم يريدون أن يستمروا فوق رءوس الناس وفوق أحلامهم وآمالهم فى الحياة. وجاء الدين ليغير من هذه المفاهيم ويعطى لكل انسان حقه فى الانسانية وفى الكرامة وفى الحرية والمساواة والحياة الكريمة.

ان على الانسان المؤمن أن يحترس من تطويع نفسه لطاعة الشياطين والكافرين. وهذا من مهام الدعوة الى الله سبحانه وتعالى. ومن فضل الله سبحانه وتعالى ألا يجعل للشياطين على المؤمنين سلطانا. فالمؤمن لن يسلم للشيطان سريعا ولا يكون للشيطان قوة أو سلطان عليه. فقوة الايمان الحقيقية هى التى تحدث الطاعة لله وتمنع الطاعة لغير الله سبحانه وتعالى ، ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى للرسول "**ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره**

فرطا " (الكهف : ٢٨).

فالانسان بين طاعة يجب أن يتجه اليها وطاعة أخرى يجب أن يحترس منها ويبتعد عنها. ويضاف الى هذا التأسيس الايمانى،أن على الانسان المؤمن أن يتحمل أذى هؤلاء ولا يجعل من الأذى وسيلة للابتعاد عن الطريق المستقيم أو الايمان أو الاحتماء بالاسلام. فعليه أن يتحمل أذى الكافرين وأذى المنافقين. وهذا التحمل هو الصبر بعينه. أن يصطبر وأن ينتظر ويعلم أن الله سبحانه وتعالى يحب الصابرين فيمده بالقوة وبالعون ، وأن هؤلاء الكافرين والمنافقين لن يؤثروا على قوة ايمانه وعقيدته. ولذلك فان الرسول ﴿ﷺ﴾يقول " **المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير** " .

فقوة الايمان تدعو للصبر وتحمل الأذى من أجل المبدأ أو القضية التى يؤمن بها الانسان من خلال التصميم والعزم ومواجهة أعداء الدعوة من الكافرين والمنافقين وغيرهم من الشياطين . وبالتالى فعلى الانسان ألا ينحرف أو يبتعد عن مساره لمجرد أزمة أو عقبة طارئة فى طريقه المرسوم. طريق النور والاستقامة والأمل والقرب من الله سبحانه وتعالى.

فعلى الانسان أن يمرر هذا الأذى ولا يقف عنده متراجعا أو متخاذلا، فبصبره يستطيع أن يواصل مسيرته وأن يسلك سبيل ربه وأن يمضى بإيمانه من أجل مرضاة الله سبحانه وتعالى ، وهذا ما يوضحه القرآن الكريم فى قول الله تعالى "**ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم**".

والصبر هو جوهر هذا الاتجاه ، فيتسلح المؤمن بالصبر، وهو قوة الارادة والتحمل والاستمرار وعدم اليأس والضعف والهوان، هذا كله ينافى قيم الصبر فى الانسان المؤمن . والله سبحانه وتعالى يؤكد على الصبر عند المواقف الصعبة والشديدة ، بمعنى قوة التحمل وقوة الارادة. فالانسان يستطيع أن يحمل شيئا ما على ظهره ويمضى به دون أن يشعر بالتعب أو الارهاق. فاذا استطاع الانسان أن يصحب همته فى حمل الأثقال فانه يستطيع وهو مار فى حياته أن يتحمل بعضا من الأذى وبعضا من المشكلات وينجو منها، وكل الأمور بعد ذلك تبدو واضحة. وعلى الانسان أن يتعود تحمل المشاق والعقبات والتعامل معها بنوع من الصبر الذى يؤكد أن الانسان سيمضى فى طريقه وأن العقبات ستتلاشى وأن الأمور ستتضح وأن الايمان أقوى من كل شدة ومن كل عقبة. ويتعلم

الانسان درسا جديدا فى الحياة بالتحمل بما أورده الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم " **ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً** ".

وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا

كما أن لكل انسان أبا وأما كانا سببا فى حمايته ورعايته فى طفولته وصباه، وحينما يشتد عوده وينضج عقله يهتدى الى خالق السموات والأرض ويتعمق فى ايمانه حتى يصل الى الدرجة القريبة من الله. وتلك كفاية ما بعدها كفاية ، والمؤمن الذى يفتقد الأم والأب له رب يرجع اليه، والله يمده بطمأنينة النفس والرضا فى كل الأحوال . وما دام الله هو الوكيل فالعبد هو المتوكل على الله فى كل شئون حياته ، فى يسره وفى عسره ، فى رخائه وشدته ، وحسبه الله كما جاء فى قوله تعالى "**حسبنا الله ونعم الوكيل**" (آل عمران : ١٧٣) ومن هنا كان التوكل على الله سبحانه وتعالى .

والتوكل على الله له شقان : التوكل الخاص ، والتوكل العام .**التوكل الخاص** له أصحابه من خواص المؤمنين كالرسل والأنبياء وأولياء الله الصالحين . ومن أمثلة التوكل الخاص ما جاء عن سيدنا ابراهيم عليه السلام حينما أمره الله سبحانه وتعالى أن يذبح ابنه أو يهجر زوجه ويتركها وابنها الرضيع فى الصحراء بلا ماء ولا طعام ، أو يأمره بتحطيم الأصنام الممثلة

للقوة والحكم، ومع ذلك فان التوكل على الله سبحانه وتعالى لا يقاس فى هذا الاتجاه بالعقل . فالمؤمن الذى وصل الى هذه المرتبة من خلال التحقق الكامل من الله سبحانه وتعالى، سيمضى بما أمره الله بغض النظر ان كانت الأوامر الالهية فى نطاق تعقله أم خارجه . وهذا توكل تصحبه التجربة والفاعلية والتكرار والتعود ، وتلك هى الحقيقة التى تبتعد عن الضلال والخداع والكذب وسوء التقدير . فالتوكل الخاص لأصحاب القلوب الواعية والنفوس المطمئنة والمتمسكة بحبل الله النورانى ، وقد اعتصمت بالله سبحانه وتعالى فأطاعته دون تشكك أو تردد أو تأجيل.

أما **التوكل العام** فهو توكل يستحضر عقل الانسان ولا يخرج عن اطار التفكير واستخدام المنطق والفكر والعقل فى احداث التوكل على الله. ويقول الله سبحانه وتعالى "**فإذا عزمت فتوكل على الله**"(آل عمران: ١٥٩) ، ومعنى ذلك أن الانسان يجب أن يكون من أهل العزم فيما يراه فى أموره فيفكر ويدبر ويستشير. وكل هذا فى اطار التوكل على الله سبحانه وتعالى . ومتى فكر الانسان واستشار وفحص أمره جيدا وقام بكل ما يمكن أن يقوم به من تصرفات عاقلة أو خطوات واضحة

فى عمل من الأعمال، فعليه أن يستمر فى عمله الذى فكر فيه والذى عمل من أجله والذى استشار ،ولا ينظر الى الخلف ليتردد ويتراجع عما اعتزمه فى أمره أو فى فكره أو فى حياته . فالتوكل هنا يعنى عدم التردد .

وهكذا يوضح الله سبحانه وتعالى نوعين من التوكل عليه . توكل خاص للرسل والأنبياء ومن على شاكلتهم من أولياء الله الصالحين والأمثل فالأمثل ، وتوكل عام يعيش مع الناس فى حياتهم وفى أفكارهم . فلا يجوز للمؤمن أن يكون مترددا أو متشككا ولا يحزم أمره ، فهذا من مصادر الضعف التى تعيب الانسان ، فلا يستطيع أن يأخذ قرارا ولا يستطيع أن يتخذ خطوات جادة حاسمة . وكل الأمور المترددة لا قيمة لها ، هذا هو الضعف والهوان الذى يأتى للانسان الذى لم يأخذ حقه فى التربية القرآنية لمواجهة الحياة وأمورها، وهذا ما يعبر عنه القرآن الكريم "**وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا**" .

الا يكفى المؤمن القوى المتحقق من ايمانه أن يكون الله وكيله فى كل أمر من الأمور وفى كل فعل من الأفعال . الا يعتقد المؤمن الصادق القوى أن كفاية الله وحمايته أقوى من كفاية غير الله وحماية غيره . الله سبحانه وتعالى هو الكاف

الحافظ الذى يحفظ الانسان بحفظه ورعايته . وعلى هذا فليتقدم المؤمن فى طريقه وهو يعلم أن الله هو الحافظ وهو الكاف وهو بيده كل الأمور وأنه فى نطاق مظلة الحماية الالهية من خلال نعم الله وأفضاله فى الكفاية والذود عن المؤمنين ودفاع الله سبحانه وتعالى عن الذين آمنوا . وهذا هو معنى "**وكفى بالله وكيلا**" . فلا تعتقد أن الحماية عند أحد من العباد ، ولكن يجب أن تعتقد أن الحماية هى حماية الله سبحانه وتعالى وكفايته وحفظه ورحمته وبركاته. وهكذا يكون السلوك الايمانى القائم على القلب والعقل لكل من أراد أن يسير فى طريق الله ومن أجل مرضاة الله سبحانه وتعالى .

هبات الله لرسوله

بالرغم مما كان عليه الرسول الكريم من فقر فى حياته ومشاكل من هؤلاء الذين كانوا يتعرضون له بما كانوا يمتلكون من ثروة وجاه، فان الله سبحانه وتعالى أراد أن يطمئنه ويجعله قرير العين بما أعطاه كما جاء فى قوله تعالى "**ولسوف يعطيك ربك فترضى**" (الضحى : ٥) . ولقد أعطاه الله سبحانه وتعالى مالم يعطه لأحد من قبل ، أعطاه هبتين : الأولى : ملكوت السموات والأرض " **ولقد ءاتيناك سبعا من المثانى والقرءان العظيم**" (الحجر : ٨٧) ، والثانية : الكوثر "**إنا أعطيناك الكوثر**" (الكوثر : ١) .

أولا : ملكوت السموات والأرض

ان الله سبحانه وتعالى أطلع رسوله الكريم على السموات العلا بما فيهن من الملائكة والجنات ، وذلك من خلال عروجه الى السماء وقد انكشفت له الحجب فرأى من آيات ربه الكبرى . كما اعتادت روحه أن تسبح وترتقى فى سماء الحقيقة

وتبيت عند ربها فى عروج دائم بالليل أو بالنهار كما كان الحال فى حادثة الاسراء والمعراج. كذلك آتاه الله سبحانه وتعالى ملك الأرض فتعرف على أسرارها والتقى مع كائناتها ونجا من شر إغوائها.

وان كان للسماء سبع طبقات علوية فللأرض سبع أراض سفلية. وليست الأرض مثل السماء . ففى السماء ترتقى الأرواح وفى الأرض تغوص النفوس فى الشهوات والملذات وتلتقى مع سكان هذه الأرض بما حوت من انس وجان ، منهم المؤمنون وغير المؤمنين. كما أن للأرض طبائع كثيرة تؤثر على الكيان الانسانى، كالطبيعة النارية والهوائية والمائية والطينية والبركانية والزلزالية والطوفانية.

وتلك الطبائع الكامنة فى الأرض لم يكن لها تأثير على نفس الرسول(ﷺ) . والله قد مكنه من الأرض ولم يعد فى نفسه شئ من أطماع الأرض وشهواتها وملذاتها وظلمها وطغيانها. فعطاء الله له فى الأرض كان الحفظ والوقاية ، وتلك هى تقوى الله سبحانه وتعالى. فالوقاية تقى من كل أذى وكل شر ، وذلك هو الحفظ الالهى ، والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين. وكان من فضل الله على الرسول(ﷺ) أن آتاه السبع

المثانى والقرآن العظيم. وهى ملكوت السموات والأرض وأسرار القرآن القائمة على كلمات الله "**قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا** " (الكهف : ١٠٩).

فالقرآن يتحدث عن ملكوت السموات والارض ، سبع سموات وسبع أراض ، وسيدنا ابراهيم عليه السلام أطلعه الله على سبع سموات "**وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين**" (الأنعام : ٧٥) .

وحدثنا بمناسبة الاسراء والمعراج أن الرسول ﴿ﷺ﴾ لم يكن على نفس المرتبة التى كان عليها سيدنا ابراهيم ، بل تخطاها . لأن الله سبحانه وتعالى أنعم عليه فى ليلة الاسراء والمعراج أن يعرج الى السموات ، سماء فسماء ، فيرى السموات ويتعرف على ملائكة كل سماء . فبينما رأى سيدنا ابراهيم هذا الملكوت من خلال الثبات ، فان الرسول الكريم رآه من خلال الحركة . أى أنه تحرك بروحه فتعرف على ملائكة السماء الأولى.

فملائكة السماء الأولى هم ملائكة الغوث الذين يتولون فك الكرب عن المكروبين . فالانسان حينما يصاب بمكروه أو أذى فان أقرب الملائكة اليه هم ملائكة السماء الأولى . وملائكة

السماء الأولى يختلفون من حيث خواصهم عن ملائكة السماء الثانية ، وكذلك عن السماء الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة و السابعة. (هذه الأحاديث حقائق روحية عاشت فى التطلعات الروحية لأولياء الله الصالحين ، وتلك هى بحور العلم الزاخر بالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله . وقد أفاض سيدى على السماك فى هذه الأبحر الروحية والتطلعات السماوية بما يقرب الصورة الايمانية للراغبين فى ايمان بلا ريب " **الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه**" (البقرة : ١ ، ٢).

فحينما يتعبد الرسول فى الغار ، تسبح الكائنات مع تسبيح الرسول ﴿ﷺ﴾ وتتنزل الملائكة عليه ، ويستطيع بكل يسر وسهولة أن يتعرف عليهم ويعرف من أى سماء هم . فلم يقف الرسول ﴿ﷺ﴾ عند درجة الايمان بملائكة السموات ولكنه كان خبيرا بهم ، وكما يقول الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم "**الذى خلق السموات والأرض و ما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا** " (الفرقان : ٥٩) . فالرسول﴿ﷺ﴾ عنده الخبرة فى العلم وفى المعرفة. فيجب أن نؤمن ايمانا كاملا بالملائكة ، ومن يرتاب فى ايمانه بالملائكة فان ايمانه يكون ناقصا. وكما قال

الشاعر الصوفى : توضأ بماء الغيب ان كنت ذا علم . . . أو تيمم بالصعيد الصخرى. فالآية القرآنية تقول " **آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله** " (البقرة : ٢٨٥) .

فالإيمان بالملائكة يجب أن يكون حقيقيا بالرغم من أن البعض لم يرهم ولم يجالسهم ولم يشم رائحتهم الزكية ولم يستشعر بهم فى قلبه . حينما يكون فى حاجة ماسة الى الطمأنينة ، النفس المطمئنة الهادئة ، القلب الذى فى حاجة ماسة الى رحمة الله سبحانه وتعالى ، فان الملائكة تتنزل على هذه القلوب لتمسح عنها الشقاء، تمسح عنها الخوف وكل ما تعانيه النفس من قلق وما يؤرق الناس فى حياتهم . وهذه من الوظائف الأساسية للملائكة ، ويقول الله سبحانه وتعالى " **إنّ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون** " (فصلت : ٣٠)

فالله سبحانه وتعالى يقول للرسول ﴿ﷺ﴾ : هؤلاء قد تملكوا الكثير من الأغنام والماشية، وأنت فقير ولكنك أعطيت ملكوت السموات والأرض ، فمن يكون أكثر ثروة وغنى ، أهذا

الذى يملك الذهب والفضة والخيل والبغال والحمير والماعز والنخيل وكل ما كان فى حوزة الأثرياء ، أم أنت الذى أعطاك الله سبحانه وتعالى حق المرور واللجوء الى ملكوته. فالى أين المفر؟ الى الله سبحانه وتعالى فى ملكوته.

ولذلك حينما يصاب الانسان بالضيق أو الشدة يقول فى قلبه " **إنى ذاهب إلى ربى سيهدين** " . أين الذهاب؟ الى الله سبحانه وتعالى . فحين يريد الانسان أن يغير من واقعه الى واقع آخر ، ومن حياة الى حياة ، فليس له الا الله سبحانه وتعالى.

فالرسول ﴿ﷺ﴾ أعده الله وجعل أخلاقه هى أخلاق القرآن الكريم منذ طفولته. فلم يعرف عنه ﴿ﷺ﴾ أنه عبث فى شبابه كما يعبث الشباب ، ولم تؤخذ عليه أية مؤاخذة يمكن أن يتحدث عنها الناس. فقد صانه الله وحفظه فى طفولته وفى صباه وفى شبابه. بل ان الناس عرفوا عنه أنه الصادق الأمين بشهادة الخصوم والناس جميعا. لأنهم علموا أنه صادق الوعد الأمين .

فهذه الأخلاق وهذه الممتلكات الروحية كان لها أثر كبير عند الرسول ﴿ﷺ﴾ حينما أرادوا أن يساوموه

يوما وقالوا له ان أردت ملكا ملكناك ، وان اردت مالا أعطيناك على أن تترك هذا الأمر. واذا كان لابد من هذا الأمر فاجعل لنا يوما لأننا نحن الأغنياء وللفقراء يوما آخر. ولكن الرسول ﴿ﷺ﴾ لم يكن ينظر الى الدعوة بمثل هذه المقاييس التى اصطلحوا عليها، بل كان دائما ينظر بميزان الحق ورؤية الوضوح ومعه الهامات الله سبحانه وتعالى ووحيه على قلبه فلم يضل ولم يشق.

ثانيا : انا اعطيناك الكوثر

يقول الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم بأنه قد منحه الكوثر. والكوثر نهر فى الجنة. وكلمة النهر تجذب الأسماع وخاصة لهؤلاء الذين يعيشون فى الصحراء . فأمل سكان الصحراء هو العثور على بئر ماء ، لكن الله سبحانه وتعالى يعطى الرسول ﴿ﷺ﴾ نهرا ليس فى الأرض ولكنه فى الجنة ، وتلك هبة روحية تفوق كل الهبات المادية . فمن أجل ذلك يبتهل الرسول ﴿ﷺ﴾ الى الله سبحانه وتعالى ويتضرع اليه بالصلاة والشكر على النعم ، وذلك تأكيد على أن نعمة

العطاء قد تأكدت ملكيتها للرسول الكريم . وعليه أن يبتهج ويسعد ويفرح وينحر الذبائح ويطعم الطعام باعلان عطاءَ الله بما جاء فى القرآن الكريم ، وأن من يعمل على اهانة الرسول ﴿ﷺ﴾ أو التقليل من شأنه فان الله سبحانه وتعالى يقطع دابر الكافرين الذين اعتادوا ان يعيروه بفقره وشدة حاجته، فيقول له الله سبحانه وتعالى "**ان شانئك هو الأبتر**" كل من يشين أو يعيب الرسول﴿ﷺ﴾ فهو المقطوع والمبتور من رحمة الله وحفظه وأمنه وسلامه.

التوجه الاجتماعى للرسول

ويتفاعل وحى السماء مع قلب الرسول الكريم سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾،وفى قلبه حياة أمة عاشت على أرض الرسالة ومجتمع ذاق الكثير من الظلم والهوان والعذاب ما أنزل الله به من سلطان ولا يتحمله البشر من حوله ، وهو يسلك طريقا مستقيما يخرج من قلبه الى امتداد السماء ، وملائكة أطهار يتنزلون عند كل انفعال ، وقلب الرسول﴿ﷺ﴾ لا يهدأ ولا ينسى ، بل هو دائم الحركة والذكر ، وفيه أمل كبير لتخطى العقبات والمشكلات التى تجابه الناس فى حياتهم.

فالرسول ﴿ﷺ﴾كان من نفس الناس الذين كانوا يعانون فى حياتهم من الفقر والظلم والحرمان ، نعم كان من نفس هؤلاء الناس كما جاء فى قول الله تعالى "**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**" (التوبة : ١٢٨)، وأن الرسول ﴿ﷺ﴾ كان يعز عليه أن يرى قومه وقد وقعوا تحت طائلة المعاناة ، وأنه رأى أن الشعور بالظلم وحده لا يكفى وأن عليه أن يتحرك ليغير من هذا الواقع الأليم ، ويدعو الناس بفكره والهام ربه ووحيه على قلبه

إلى ضرورة تصحيح الأوضاع الاجتماعية وازالة الخلل الذى يصيب المجتمع ويضر بالناس .

ولذلك حرص الرسول ﴿ﷺ﴾ كل الحرص على استمرار رسالته الغراء كما جاء فى قول الله تعالى "**عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**" . فلم يكن الرسول ﴿ﷺ﴾يفصل بين عالمه الروحى وعالمه الدنيوى، بل كان يرى أن العلاقة وطيدة بين معاش الناس فى الأرض وبين عبادتهم لله، فرأى أن الحرية يجب أن تكون مكفولة لكل الناس، مؤمنين وغير مؤمنين . فكان يعلن بين الناس أن الناس سواسية كأسنان المشط ولا فرق بين عربى ولا أعجمى الا بالتقوى ، وقد أنزل الله عليه قوله تعالى " **يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير**" (الحجرات : ١٣) . كما أيده بقوله تعالى فى القرآن الكريم "**وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر**" (الكهف : ٢٩).

وكان برنامج الرسول﴿ﷺ﴾ فى توجهاته ودعوته يدعو الى تحقيق العدالة الاجتماعية بما يتفق والأوضاع الاجتماعية السائدة . فكان الناس فى عصره يحظى بعضهم بالثروة

الطائلة بينما يعانى أغلبية الناس من الفقر المدقع والجوع والحرمان. وتنزلت آيات القرآن الكريم متحدثة عن المعاناة وكيف يكون الحل فى هذا الاتجاه . فيقول الله سبحانه وتعالى "**أرأيت الذى يكذب بالدين**" (الماعون : ١). وهذا استهلال قرآنى واضح ومثير فى نفس الوقت لكى يردد الانسان فى داخله. من ذا الذى يكذب بالدين . فيرد القرآن ويقول "**فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين**" (الماعون : ٢ ، ٣) . وتوالت آيات القرآن فى تنزلها على قريش وعلى أهل مكة لتقول لهم " **لايلاف قريش، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف، فليعبدوا رب هذا البيت ، الذى أطعمهم من جوع و آمنهم من خوف**" (قريش : ١ - ٤) . انها دعوة للألفة والمحبة واللقاء والاجتماع وانهاء المعاناة لتؤمن طريق الحياة فى الاقامة وفى السفر وفى التحرك من خلال رحلات الشتاء ورحلات الصيف. فكل الطرق مأمونة باذن الله طالما تحقق الأمل وآمن الانسان. وكل المجتمع كان فى حاجة ملحة الى سلام حقيقى ينشر جناحيه على بقعة اختارها الله سبحانه وتعالى لتكون مهدا للرسالة المحمدية.

وتواكبت آيات القرآن مع أحاسيس الرسول ﴿ﷺ﴾ ومشاعره لتؤكد على ضرورة الحل من خلال التلقائية الانسانية والمبادرة الخيرة التى تكمن فى أنفس الناس ، فباتت الحلول الاجتماعية على أنها عقائد ايمانية. وهيأ الاسلام الطريق نحو التكافل الاجتماعى، وانهمرت آيات القرآن من السماء لتؤكد على هذا الطريق المستقيم بترغيب المؤمنين بضرورة الانفاق فى سبيل الله وضرورة العمل بفريضة الزكاة حتى أنه لم تعد آية تدعو الى إقام الصلاة الا وارتبطت بفريضة الزكاة . واعتاد الناس اذا ما سمعوا قول الله الذى يدعو الى "**إقام الصلاة**" الا وارتبطت افئدتهم بقول الله "**وإيتاء الزكاة**" كما جاء فى قوله تعالى "**الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**" (الحج : ٤١).

وقد خاطبت آيات القرآن كل المفاهيم المختلفة والمتنوعة بضرورة الانفاق فى سبيل الله. وحينما نستعرض آية من آيات القرآن المرغبة فى الانفاق فقد بينت من خلال كلماتها ضرورة الانفاق بالمال بل وبكل أنواع الانفاق بقول الله تعالى "**مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع**

سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم" (البقرة : ٢٦١).

كما ألقت الآيات القرآنية الضوء على ملكية المال وغيره وبضرورة الاعتقاد أن المال والممتلكات ترجع الى ملكية الله سبحانه وتعالى . فجاء فى قوله تعالى "**وءاتوهم من مال الله الذى ءاتاكم**" (النور:٣٣). وبهذا الحس الخفى تملك الانسان الشعور بضرورة العطاء والانفاق عن طيب خاطر، وهذا من أسمى المعانى الانسانية ليكون الأخذ والعطاء ركنا أصيلا من أركان الاسلام يدفع الناس الى قمة الاحسان ، وان القوانين الوضعية لا شأن لها بالاحسان أو العطاء ، وهذا ما يميز الحل الاسلامى القائم على تقوى القلوب والتمسك بقواعد الدعوة وأخلاقياتها السامية . فلن يصح الانفاق ولن يصح الحل الا اذا صحت القلوب وعملت بما آمنت ، والا فان القوانين الوضعية تكون هى الأولى وخاصة فى المجتمعات غير المتدينة. وذلك من خلال فرض الضرائب بكل أنواعها.

وكان للمشاكل الاجتماعية البارزة أثر كبير فى تنزل الآيات القرآنية على قلب الرسول الكريم مثل وأد البنات خشية العار "**وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت**" (التكوير : ٨ - ٩) ، وقتل

الأولاد خشية الفقر "**ولا تقتلوا أولـدكم خشية إملـق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا**" (الاسراء : ٣١) ، وتحرير العبيد "**وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة ، أو إطعام فى يوم ذى مسبغة**" (البلد : ١٢ - ١٤) ، والربا "**يـأيها الذين ءامنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون**" (البقرة : ٢٧٨ - ٢٧٩) ، ولعب الميسر وشرب الخمر "**يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ، واثمهما أكبر من نفعهما**" (البقرة : ٢١٩) ، وغيرها من قضايا اجتماعية.

ورغم وضوح المعنى وسمو الدعوة الا أن أصحاب النفوس المنطوية على الشر والأذى والمبتعدة فى نفس الوقت عن الانسانية راحوا يلوحون بين الناس بقولهم وما شأن الدين وانفاق الأموال ، وامتنعوا جهرا عن ايتاء الزكاة . والجهر بالمعصية يختلف عن اخفائها ، وغيرهم من أغنياء القوم طالبوا الرسول ﴿ﷺ﴾ بأن يجعل لهم يوما ويجعل للفقراء يوما آخر ، فهؤلاء يعارضون المساواة بين الناس ، وقد واجه

الرسول ﴿ﷺ﴾ الكثير من هذه الأمثلة حتى أنهم قرروا أن يدلوا بأموالهم اليه ليتراجع عن موقفه . ولكن الرسول﴿ﷺ﴾رفض باصرار شديد وقال قولته المشهورة " **والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه**".

ولا نستطيع أن نمر عبر مجتمع الدعوة الاسلامية دون أن نذكر موقف الاسلام من المرأة . فكان علينا أن نتوقف عند هذا المكان لنلتقط أنفاسنا قليلا بعد مرور عابر وسريع حول القضايا الاجتماعية المميزةلواجهة العصر الجاهلى الذى كان يفرض سلطانه على الانسان . بل وعلى الحياة بأكملها . وقد حظيت المرأة باهتمام بالغ اوصلها الى أن تكون شقيقة الرجل فى الحياة والكفاح وحمل المسئولية . ولقد أفصح الرسول عن ذلك بقوله "**انما النساء شقائق الرجال**" (أخرجه الامام أحمد وأبو داودوالترمذى والدار قطنى عن عائشة رضى الله عنها . وأخرجه الامام البزار عن أنس بن مالك رضى الله عنه) . وضع الضوابط الاجتماعية فيما يختص بحق المرأة فى الزواج والطلاق والميراث حتى فى حملها جعل لجنينها حقا فى الميراث . بالرغم من أن قدمه لم تطأ الأرض . ولقد تضامنت المرأة

مع الدعــوة الاسـلامـيـة من الـوهلة الأولى . فكانت السـيـدة خـديجة رضي الله عنهـا تشجع الرسـول ﴿ﷺ﴾ بالمضـى فـى طريق دعوتـه وتقول له "**والله لن يـخـزيك الله ابدا ، فـانك تحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الدهر**".

وتطوعت المرأة بالجـهـاد جنبـا إلى جنب مـع المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه . وتبوأت فـى ذلك مكانة الرجال فـى التـحـمل والعطاء ونزلت الآية القـرآنيـة التى لا تفـرق بين ذكـر وأنثى بقـول الله تعـالى "**فـاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فـالذين هـاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقـاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب** (آل عـمران : ١٩٥) . كـمـا يقول تعـالى "**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا**" (الأحزاب : ٢٣).

وكلمـة رجال تتـحـدد بمواقع الجـهاد ولا تتـحدد بالذكـورة أو الأنوثة . والقـرآن يخـاطب الرجـولة فـى الإنسـان . وأن الخطاب لا يقـتـصر عـلى الذكور لـيحـرم الاناث شـرف الصـدق فـى الايمان

والعمل والجهاد والعطاء ، ولعل التاريخ الاسلامى يذكر الكثير من النساء اللاتى لمعت أسماؤهن ضمن الشخصيات التاريخية البارزة . فكانت ساحة المعركة مكانا طبيعيا لمشاركة المرأة فى الجهاد وتحمل تبعاته ومسئولياته ، فهى التى تحزن على فقد رجلها وتثأر اذا ما فقدت وليدها ، فهى جانب بارز فى تحمل خسائر المعركة ، وركن أساسى لدفع الجنود وتشجيعهم وتحريضهم على القتال فى سبيل الله. وبينما كان الجزء الأكبر فى اقدام المؤمنين جميعا على القتال هو موقف الحق الذى يدافع عن شعوب الأرض جميعا، كان الذين يكفرون بالحق فى موقف ضعيف بما زينه لهم الباطل .

وليتنا كنا نتحدث باسهاب عن المواقف الاجتماعية التى كانت هدفا مباشرا لدعوة الاسلام وضرورة تحرير الانسان والمجتمع من براثن الظلم والعدوان وعوامل القهر الاجتماعى الذى عاش فيه الانسان ردحا من الزمن .

إنما أنا بشر مثلكم

لقد تألقت الرسالة المحمدية من خلال بشرية الرسول ﴿ﷺ﴾ ، حيث أوضحت حقيقة الرسل ، بخلاف ما كان يعتقد البعض خاصة هؤلاء الذين ألهوا أنبياءهم كما فعل البعض من اليهود والنصارى . وقد أوضح القرآن خطأ ما ارتكبه هؤلاء وذلك فى قول الله تعالى "**وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون**" (التوبة :٣٠) .

ولقد مارس الرسول الكريم بشريته دون أى تصنع أو تكلف ، فلم يكن له زى يتميز به ليضفى عليه هالة من الوقار والتقديس كما فعل ويفعل رجال الدين فى العصور المختلفة ، بل عاش حياته على سجيته وبساطته المتناهية لا يختلف عن الناس فى عموم حياتهم ، يأكل كما يأكلون ، ويتزوج كما يتزوجون ، ويعمل كما يعمل الناس فى عصره بالتجارة أو الرعى . ولقد اعترض عليه جهلاء قومه فيما يباشره من عمل أو من معيشة. وقد بينت آيات القرآن مزاعم هؤلاء الجهلاء فى

قول الله تعالى "**وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ، أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا ، انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا**" (الفرقان : ٧ - ٩) .

ولم يعبأ الرسول ﴿ﷺ﴾ بما كانوا يقولون ، فراح يأكل من خيرات الأرض ويسعى فى مناكبها ويعمل ويعرق .

ولم تفارق الرسول ﴿ﷺ﴾ الطبيعة الانسانية يوما واحدا ، فتراه يحزن كما يحزن الناس ويفرح كما يفرحون . فحينما توفيت زوجه السيدة خديجة رضى الله عنها حزن عليها كثيرا ، كذلك حينما توفى ابنه ابراهيم دمعت عيناه ، وعندما أراد الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه أن يتزوج على السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول الكريم وبلغه ذلك ﴿ﷺ﴾ غضب وقال لعلى : "**فاطمة بضع منى من أغضبها أغضبنى**" . وعلى الجانب الآخر كان يسعد ويفرح حين يرى بعينيه الرحيمتين الحسن والحسين فيقبلهما ، وجاءه اعرابى فقال أتقبلون الصبيان ، فما نقبلهم ؟ فقال النبى ﴿ﷺ﴾ : أو أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة (رواه البخارى ومسلم) . كما كان

يردد على أسماع أصحابه قوله "**اعدلوا بين أولادكم حتى فى القبل**". ومن تلك الوقائع ظهر جليا أن الرسول ﴿ﷺ﴾ لم يتأثر بالعادات والتقاليد الجاهلية التي تدعو الى غلظة القلب وإماتة العواطف ، ولم يجد حرجا فى مداعبة وملاطفة حفيديه : الحسن والحسين ، بل كان يحملهما على كتفيه أثناء خطبة الجمعة ويدعو المسلمين الى عدم التفريط فى محبة أحفاده وآل بيته ، فكان الرسول ﴿ﷺ﴾ يقول "**أحب الله من أحب الحسين**" ، كما كان يقول "**أدبوا أولادكم على حبى وحب آل بيتى**" وكما كان الرسول ﴿ﷺ﴾ يحب آله وأحفاده فقد كان أيضا يحب أصحابه ويقول "**أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**" ، بل ويتسامح مع أعدائه .

وكان ﴿ﷺ﴾ يحب أن يكون محبوبا من الناس ، فعن أنس رضى الله عنه أن الرسول ﴿ﷺ﴾ قال : "**والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين**" ، وروى أيضا عن عبد الله بن هشام قال : كنا مع رسول الله ﴿ﷺ﴾ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال : **والله يا رسول الله لأنت أحب الى من كل شئ الا من نفسى** ، فقال الرسول ﴿ﷺ﴾ : "**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من**

نفسه" . فقال عمر : **فأنت الآن أحب الى من نفسى ، فقال رسول الله : الآن يا عمر.**

كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ لطيفا فى اسلوب حديثه ولا يفتقد الابتسامة ولا الدعابة فعن الحسن أنه ﴿ﷺ﴾قال لامرأة عجوز يوما "**لا يدخل الجنة عجوز**" . فحزنت المرأة . فقال لها " **إنك لست يومئذ بعجوز**" ثم قرأ قول الله تعالى " **إنا أنشأناهن إنشاءً، فجعلناهن أبكارا ، عربا أترابا**" (الواقعة : ٣٥ - ٣٧).

وبالرغم من أن الرسول ﴿ﷺ﴾ كان فى بيئة صحراوية من أفقر أنواع الأرض التى لا تنبت زرعا أو تجنى محصولا بسبب ندرة المياه . وبالتالى انتشار الفقراء فى الصحراء الذين يرعون الأغنام على العشب القليل . فان جدب الأرض وفقرها وافتقار سكانها لم يثنه عن الاهتمام بمظهره اللائق ونظافته الدائمة وتحضره باستخدام الماء. وان استخدام الماء من مؤشرات تقدم الشعوب وتحضرها . فماذا لو كان الرسول ﴿ﷺ﴾ فى عصرنا الحديث.

وقد وضح من تمسك الرسول ﴿ﷺ﴾ ببشريته أنه كان يهتم بحسن مظهره من خلال تنظيف أسنانه بالسواك. وترجيل شعره بالمشط ، ومس جسده بالطيب. وتكحيل

عينيه، واستخدام الألوان الزاهية فى ملبسه ليؤكد على ظاهر الزينة، وتلك ليست من حقه فقط، ولكن ذلك من حق المجتمع كله، فكان يرى أن اهمال الزينة الظاهرة يخالف شريعته الغراء التى تدعو الى تعقب الجمال فى الأرض وفى السماء، فالمجتمع هو الذى يرى وجه الانسان فمن يهمل فى وجهه ومظهره كمن يسب مجتمعه، ويحكى أن أمرأة جاءت الى النبى ﴿ﷺ﴾ تشكو اليه زوجها وتريد ان تطلق منه، فأرسل الرسول فى طلب زوجها، فلما رآه أشعث أغبر قال له اذهب واغتسل ورجل شعرك، فلما عاد الرجل وقد تغير مظهره الى الأحسن نظر الرسول ﴿ﷺ﴾ الى الزوجة وقال لها هل تريدين أن تطلقى منه الآن، قالت لا يا رسول الله، فقال ﴿ﷺ﴾ "**تزينوا لنسائكم كما تحبون أن نساءكم تتزين لكم**".

لقد بعث الرسول ﴿ﷺ﴾ لكى يكون انسانا وليس الها، ولذلك نجد الكثير من الآيات التى تتسم بالعتاب، فكان القرآن ينزل عليه، يعاتبه أحيانا ويذكره أحيانا أخرى، كما جاء فى قول الله تعالى "**عبس وتولى، أن جاءه الأعمى، وما يدريك لعله يزكى، أو يذكر فتنفعه الذكرى**" (عبس: ١ - ٤)، وكما جاء

فى قوله تعالى "**وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**" (الأحزاب : ٣٧). وذلك على سبيل المثال وليس الحصر. فالرسول ﴿ﷺ﴾ يتمسك بهيئته البشرية كانسان قد يخطئ ويصيب، ولا يتعارض ذلك مع مكارم الأخلاق التى هى من صميم رسالته المصححة لكل الرسالات والمتممة للدين الذى أراده الله سبحانه وتعالى للعالمين. ويتفرد الاسلام بأنه هو الدين القيم والرسالة الخاتمة. وقد بينت العقيدة المحمدية اهتماماتها الواضحة بمراعاة الجانب الاجتماعى بما يعود على الناس بالقسط والعدل من أجل سعادة البشرية. فحظيت القضايا الاجتماعية باهتمام القرآن كما هو حادث بالنسبة للمواريث، فقد بينت الآيات القرآنية أحكامها مستعينة بالأرقام بل بكسورها، النصف والثلث والسدس والثمن، كما جاء فى سورة النساء،وعلى الجانب الآخر لم تتحدث آيات القرآن عن عدد ركعات الصلاة مثل صلاة الصبح والظهر وغيرها، وهذا ما يؤكد حرص العقيدة الاسلامية على مراعاة الحياة الاجتماعية وحقوق الانسان.

فأسلوب الرسول الفكرى والحياتى أسلوب تقدمى وحضارى. ويشهد له الخصوم اعترافا بفضله على الانسانية.

ولقد أدرك الرسول ﴿ﷺ﴾ بشفافيته أن عليه ألا يدنس قلبه بشهوة الكبر والتعالى على الناس، وذلك حينما لاحظ أن بعضا من المسلمين يقفون له تعظيما واجلالا كما يفعل مع الملوك والحكام فقال لهم "**هونوا على أنفسكم فما أنا الا ابن امرأة كانت تأكل القديد فى شعاب مكة**". وأراد الرسول ﴿ﷺ﴾ بذلك أن يحدث تغييرا جذريا فى مجتمعه لاقتلاع العادات والتقاليد الفاسدة، وفى نفس الوقت لا يعترض على العادات والتقاليد التى اعتادت عليها القبائل، والملائمة لطبيعة المجتمع البشرى فى الجزيرة العربية آنذاك.

فالطبيعة البشرية فى مجتمع الصحراء كانت تدعو الى ضرورة تعدد الزوجات، وتلك ضرورة اجتماعية فرضت نفسها على مجتمع يعانى أيضا من إغارة القبائل على بعضها البعض. فالقبيلة التى كانت أكثر عددا تكون أكثر نفوذا وقوة. وقانون الصحراء هو قانون القوة، ومع ذلك فقد تنزلت آيات القرآن لتنظم المجتمع وتحدد الزواج حتى لا يزيد على أربع زوجات بالنسبة للزوج مع الترغيب فى الاكتفاء بزوجة واحدة ضمانا للعدل الذى يؤدى الى مزيد من الوفاق والحب.

ولذلك فالرسول ﴿ﷺ﴾ فى كل نواحيه لم يختلف عن طبيعة المجتمع حوله، فلم يتهرب من مجتمعه بما كان سائدا من الأحوال الشخصية أو الاجتماعية، وكان الرسول ﴿ﷺ﴾ يشارك الناس أفراحهم، فعن عائشة رضى الله عنها أنها زفت امرأة الى رجل من الأنصار فقال النبى ﴿ﷺ﴾ : **يا عائشة ما كان معكم لهو فان الانصار يعجبهم اللهو** (رواه البخارى وأحمد)، وفى رواية " **فهل بعثتم جارية تضرب بالدف وتغنى، قالت ماذا تقول يا رسول الله؟ قال تقول أتيناكم أتيناكم، فحيانا وحياكم، ولولا الذهب الأحمر، ما حلت بواديكم، ولولا الحنطة السمرا، ما سمنت عذاريكم**". وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﴿ﷺ﴾ قال : **أعلنوا هذا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدفوف** (رواه أحمد والترمذى وحسنه)، وعن عامر بن سعد رضى الله عنه قال "**دخلت على قرظة بن كعب وأبى مسعود الأنصارى فى عرس واذا جوار يغنين فقلت أنتما صاحبا رسول الله ﴿ﷺ﴾ ومن أهل بدر يفعل هذا عندكم، فقالا اجلس إن شئت فاسمع معنا وإن شئت فاذهب قد رخص لنا فى اللهو عند العرس**" (رواه النسائى والحاكم وصححه). فالزواج له الأصول والاحترام

والفرحة، وهناك من يعتقد فى أيامنا هذه أن هذا خارج عن الاسلام. والأكثر من ذلك فان الرسول(ﷺ) كان يتخذ من مسجده مكانا للالتقاء بكل الناس لبحث أمور المسلمين بل أن الرسول(ﷺ) شاهد فى أحد الأيام عرضا للفنون الشعبية الحبشية فى ساحة المسجد، وقد ذكر الامام الغزالى فى كتاب الإحياء أحاديث غناء الجاريتين ولعب الحبشة فى مسجد النبى (ﷺ) وتشجيع النبى لهم بقوله " **دونكم يا بنى أرفدة**" وقول النبى لعائشة: **تشتهين أن تنظرى ووقوفه معها حتى تمل هى وتسأم.**

فالرسول(ﷺ) شخصية اجتماعية مرموقة لا تنفر من المجتمع أو تتهرب منه، وكان يسعى الى تحقيق ما أمره الله به، أن يعمل بالعرف وما تعارف عليه الناس وعدم التنكر للعرف "**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**" (الأعراف : ١٩٩)، لأن القوانين منشؤها العرف المتداول بين الناس، فهوالقاعدة القانونية الحقيقية فطالما أنه عرف نافع لا يضر المجتمع فكان الرسول (ﷺ) يستمر فى العمل به.

وهكذا بينت الدعوة المحمدية ما كان عليه الرسول الكريم من حياة طبيعية تتساير مع مجتمعه ولا تتخلف عنه،

فلم يتشدد فيما كان يدعو اليه، وعاش حياته كانسان له مشاعره الخاصة وطبيعته الانسانية بكل بساطتها ويسرها. وكان الرسول ﴿ﷺ﴾ كلما عرض عليه أمران اختار ايسرهما ما لم يكن إثما .

والطبيعة البشرية عند الرسول﴿ﷺ﴾ لا تتخلف عن روحانيات الدعوة، وكلاهما له الأثر الفعال فى أداء الرسالة، وهذا هو التكامل فى شخصية الرسول ﴿ﷺ﴾ بين انسانية الدعوة وروحانياتها.

وبذلك أكدت الدعوة المحمدية على أن العمل والحياة الأسرية والتضحية والجهاد، كل ذلك يؤدى الى رفع الروح المعنوية، وبالتالى ازكاء الجانب الروحى مما يؤكد على تلاقى الجوانب المادية والجوانب الروحية وانسجامهما فى اطار واحد هو شريعة الاسلام

" ان الله وملائكته يصلون على النبى، يأيها الذين ءامنوا صلوا عليه وسلموا تسليما " (الأحزاب : ٥٦) .

الخاتمة

تراودنى الأحلام والأمانى بأن يكون لهذه المعانى الروحية مكان فى المناهج الدينية التى تعدها وزارة التعليم أو فى المعاهد الأزهرية، ليخرج جيل جديد يؤمن بجدية العمل وضرورة الجهاد وامكانية العطاء والمساهمة فى نشر الخير والفضيلة والزود عن الأوطان ومواجهة التحديات والتمسك بالعقيدة السمحاء التى تدعو الى تكريم الانسان بغض النظر عن جنسه أو لونه أو عقيدته. ولن يتأتى ذلك الا من خلال الشفافية الروحية واسلام القلب لله والسير خلف رسول الله وعدم اخضاع الدعوة للتشدد أو التجمد الفكرى وارهاق الناس بما تصف الألسنة، يقولون هذا حلال وهذا حرام، ويقول الله تعالى "**ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون**" (النحل : ١١٦).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

تصحيح الاخطاء المطبعية الواردة فى الكتاب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
آخر مقدمة مصطفى عيد		زودا	ذودا
مقدمة المهندس زين السماك		للرؤية	للرؤيا
٣	٥	قرية	قريه
١٠	١٥	غيبة	غيبه
١٢	٥	الرحى	الروحى
١٤	٩	تعالى	وتعالى
٢٧	٢	تسكن	يسكن
٢٧	٨	أنطفأت	انطفأت
٢٨	١١	لأختارت	لاختارت
٢٨	١٥	لأكتشفت	لاكتشفت
٣١	١٣	السماء	والسماء
٣٣	١٢	لله	الله
٤١	١٥	وتقلب المقامات	وتقلب فى المقامات
٧٠	٥	كالآلئ	كاللآلئ
٧٠	١٥	بالأرض	فى الأرض
٨٨	العنوان	بأذنه	بإذنه
٨٩	٨	تعلمون	تعملون
٩٨	١٧	امتلئوا	امتلأوا
١٢١	١٦	الأمين	أمين
١٢٧	٨	تعد	تأت
١٢٩	٤	مسبغة	مسغبة
اينما وجدت		السموات العلا	السموات العلى

لقاؤنا فى الكتاب القادم مع
يوسف عليه السلام

